

من تاريخ دمشق لابن القلانسي

سنة تسعين وأربعمائة

... وفي هذه السنة كان مبدأ تواصل الاخبار بظهور عساكر الأفرنج من بحر القسطنطينية ، في عالم لا يحصى عنده كثرة ، وتتابعت الأنباء بذلك ، فقلق الناس لسماعها وانزعجوا لاشتهارها ، وصححت الاخبار بذلك عند الملك (داود بن) سليمان بن قتلмыш وكان اقرب اليهم دارا ، فشرع في الجمع والاحتشاد ، واقامة مفروض الجهاد ، واستدعى من امكنة من التركمان للاسعاد عليهم والانجاد ، فوافاه منهم مع عسكر اخيه العبد الكثير ، وقويت بذلك نفسه ، واشتدت شوكته فزحف الى معابرهم ومسالكهم وسبلهم (٧٣ و) فأوقع بكل من ظفر به منهم ، بحيث قتل خلقا كثيرا ، وعادوا اليه ، واستظهروا عليه ، وكسروا عسكره ، فقتلوا منهم واسروا ونهبوا وسبوا ، وانهزم التركمان بعد اخذاكثر دوابهم ، واشتري ملك الروم من السبي خلقا كثيرا ، وحملهم الى القسطنطينية ، وتواصلت الاخبار بهذه الذوبة المستبشعة في حق الاسلام ، فعظم القلق ، وزاد الخوف والفرق ، وكانت هذه الواقعة لعشر يقين من رجب .

وفي النصف من شعبان توجه الأمير يغني سغان صاحب انطاكية والأمير سكرمان بن ارتق والأمير كريبوقا في العسكر الى انطاكية ، وقد وردت الاخبار بقرب الأفرنج منها ، ونزولهم البلانة (١) وخف يغني سغان الى انطاكية ، وسير ولده الى دمشق الى الملك دقاق ، والى جناح الدولة بحدص ، والى سائر البلاد والاطراف بالاستصراخ والاستنجد ، والبعث على الخوف الى الجهاد ، وقصد تحصين انطاكية ، واخراج النصارى منها .

وفي اليوم الثاني من شوال نزلت عساكر الأفرنج على بغراس
واغاروا (٢) على أعمال انطاكية (٣) ، فعند ذلك عصى من
كان في الحصون والمعقل المجاورة لانطاكية ، وقتلوا من كان فيها
وهرب من هرب منها وفعل اهل ارتاح (٤) مثل ذلك ، واستدعوا
المدد من الأفرنج ، وفي شعبان ظهر الكوكب ذو الذؤابة من الغرب
واقام طلوعه تقدير عشرين يوما ، ثم غاب ، فلم يظهر ، وكان
قد نهض من عسكر الأفرنج فريق « وافر » يناهز ثلاثين
الفا ، فعادوا في الاطراف ووصلوا الى البارة (٥) وقتلوا فيها
تقدير خمسين رجلا ، وكان عسكر دمشق وصل الى ناحية شيزر
لانجاد يغني سغان ، فلما نزلت هذه الفرقة المذكورة على
البارة ، نهضوا نحوهم ، وتطاردوا وقتل منهم جماعة ، وعاد
الأفرنج الى الروج (٦) ، وتوجهوا الى انطاكية ، وغلا سعر
الزيت والملح ، وغير ذلك ، وعدم في انطاكية ، وتواصل ذلك اليها
سرقة ، فرخص فيها ، وجعل الأفرنج بينهم وبين انطاكية
خندقا لكثرة الغارات عليهم من عسكر انطاكية ، وقد كان
الأفرنج عند ظهورهم عاهدوا ملك الروم ووعدوه بأن يسلموا
اليه اول بلد يفتحونه ، ففتحوا نيقية وهي اول مكان
فتحوا ، فلم يفوا له بذلك ولا سلموها اليه على الشرط (٧) ،
وافتحوا في طريقهم بعض الثغور والدروب

سنة احدى وتسعين واربعمائة

في آخر جمادى الأولى منها ورد الخبر بأن قوما من اهل انطاكية من جملة الامير يغني سغان من الزرادين عملوا على انطاكية وواطوا الافرنج على تسليمها اليهم لاساعة تقدمت منه في حقهم وصادرتهم ، ووجدوا الفرصة في برج من أبراج البلد ، مما يلي الجبل باعوه للأفرنج ، واطلوعوهم الى البلد منه في الليل ، وصاحوا عند الفجر ، فانهزم يغني سغان ، وخرج في خلق عظيم ، فلم يسلم منهم شخص ، ولما حصل بالقرب من ارمناز ، ضيعة بالقرب من معرة مصرين ، سقط عن فرسه على الأرض ، فحمله بعض أصحابه واركبه ، فلم يثبت على ظهر الفرس ، وعاود سقط ، فمات رحمه الله .

وأما انطاكية ، فقتل منها واسر وسبي من الرجال والنسوان والأطفال ما لا يدركه حصر ، وهرب الى القلعة تقدير ثلاثة آلاف تحصنوا بها ، وسلم من كتب الله سلامته ...

... وفيها توجه الافرنج الى معرة النعمان بأسرهم ، ونزلوا عليها في اليوم التاسع والعشرين من ذي الحجة ، وقاتلوهم ونصبوا عليها البرج ، والسلاط ، وبعد افتتاح الافرنج (٨) بلد (٧٤ و) انطاكية بتدبير الزراد ، وهو رجل أرمني اسمه نيروز في ليلة الجمعة مستهل رجب ، توافدت الاخبار بصحة ذلك فتجمعت عساكر الشام في العمد الذي لا يدركه حصر ولا حزر ، وقصدوا عمل انطاكية للايقاع بعسكر الافرنج ، فحصرهم حتى عدم القوت عندهم حتى اكلوا الميتة ، ثم زحفوا وهم في غاية من الضعف الى عساكر الاسلام وهم في الغاية من القوة والكثرة ، فكسروا المسلمين ، وفرقوا

- ٥٠٢٦ -

جموعهم ، وانهزم أصحاب الجرد السابق ، ووقع السيف في
الرجال المتطوعين والمجاهدين والمغاليين في الرغبة في
الجهاد ، وحماية المسلمين ، في ذلك ، في يوم الثلاثاء السادس
من رجب في السنة (٩) .

واهلت سنة اثنتين وتسعين واربعمائة

في المحرم منها زحف الافرنج الى سور معرة النعمان من الناحية الشرقية والشمالية ، واسندوا البسرج الى سورها ، وهو أعلى منه ، فكشفوا المسلمين عن السور ، ولم تزل الحرب عليه الى وقت المغرب من اليوم الرابع عشر من محرم ، وصعدوا السور ، واكشف اهل البلد عنه ، وانهزموا بعد ان تردت اليهم رسل الافرنج في التماس التقرير والتسليم واعطاء الامان على نفوسهم واموالهم ، ودخول الشحنة اليهم ، فمنع من ذلك الخلف بين اهلها وما قضاه الله تعالى وحكم به ، وملكوا البلد بعد صلاة المغرب ، وقتل فيه خلق كثير من الفريقيين ، وانهزم الناس الى دور المعرة للاحتباء بها ، فامنهم الافرنج وغدروا بهم ، ورفعوا الصلابان فوق البلد ، وقطعوا على اهل البلد القطائع ، ولم يفوا بشيء مما قدروه ، ونهبوا ما وجدوه ، وطالبوا الناس بما لا طاقة لهم به ، ورحلوا يوم الخميس السابع عشر من صفر الى كفر طاب .

ثم قصدوا بعد ذلك ناحية بيت المقدس آخر رجب من السنة ، واجفل الناس منهم من اماكنهم ، ونزلوا أولا على الرملة فملكوها عند ادراك الغلة ، وانتقلوا الى بيت المقدس ، فقاتلوا اهله ، وضيقوا عليهم ، ونصروا عليه البرج واسندوه الى السور ، وانتهى اليهم خروج الافضل من مصر في العساكر الدثرة ، لجهانهم والايقاع بهم ، وانجاد البلد عليهم وحمايته منهم ، فشدوا في قتاله ، ولازموا حربه الى آخر نهار ذلك اليوم ، وانصرفوا عنه ، وواعدهم الزحف اليهم من الغد ، ونزل الناس عن السور وقت المغرب ، (٧٤ ظ) فعاد الافرنج الزحف اليه ، وطلعوا البرج ، وركبوا سور

البلد ، فانهزم الناس عنه ، وهجموا البلد فملكوه ، وانهزم بعض أهله الى المحراب ، وقتل خلق كثير وجمع اليهود في الكنيسة وأحرقوها عليهم ، وتسلموا المحراب بالامان في الثاني والعشرين من شعبان من السنة ، وهدموا المشاهد وقبر الخليل عليه السلام .

ووصل الأفضل في العساكر المصرية ، وقد فات الامر ، فأنضاف اليه عساكر الساحل ، ونزل بظاهر عسقلان في رابع عشر شهر رمضان ، منتظرا لوصول الاسطول في البحر والعرب ، فنهض عسكر الأفرنج اليه ، وهجموا عليه في خلق عظيم ، فانهزم العسكر المصري الى ناحية عسقلان ، ودخل الأفضل اليها ، وتمكنت سيوف الأفرنج من المسلمين ، فأتى القتل على الراجل والمطوعة وأهل البلد ، وكانوا زهاء عشرة الاف نفس ، ونهب العسكر ، وتوجه الأفضل في خواصه الى مصر ، وضايقوا عسقلان الى ان قرروا عليها بعده للأفرنج عشرين الف دينار ، تحمل اليهم ، وشرعوا في جبايتها من أهل البلد ، فاتفق حدوث الخلف بين المقدمين ، فرحلوا ولم يقبضوا من المال شيئا ، وحكي ان الذين قتلوا في هذه الواقعة من أهل عسقلان من شهودها وتنائها وتجارها وأحداثها ، سوى أجنادها الفان وسبعمائة نفس .

سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة

وفي رجب منها خرج بيمند ملك الأفرنج صاحب أنطاكية إلى حصن أفامية ونزل عليه ، وأقام أياما وأذلف زرعه ووصل الخبر بوصول الدانشمند (١٠) إلى ملطية في عسكره من الأتراك ، في خلق عظيم ومن عسكر (قلاج أرسلان بن) سليمان ابن قتلмыш ، فعاد بيمند عند معرفة ذاك إلى أنطاكية ، وجمع وحشد ، وقصد عسكر المسلمين ، فنصر الله تعالى المسلمين عليه ، وقتلوا من حزبه خالقا كثيرا (٧٥ و) وحصل في قبضة الأسر مع نفر من أصحابه ، ونفذت الرسل إلى نوابه بأنطاكية يلبسون تسليما ، في العشر الثاني من شهر صفر سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة .

وفيهما وردت الأخبار بأن الآبار غارت في عدة جهات من أعمال الشمال ، والمنابع في أكثر المعامل ، وقلت وتقلصت الأسعار فيها .

سنة أربع وتسعين وأربعمائة

فبها جمع الأمير سكمان بن أرتق خلقا كثيرا من التركمان ، وزحف بهم الى أفرنج الرها وسروج ، في شهر ربيع الأول وتسلم سروج واجتمع اليه خلق كثير ، وحشد الأفرنج أيضا ، والتقى الفريقان ، وقد كان المسلمون مشرفين على النصر عليهم ، والقهر لهم ، فاتفق هروب جماعة من التركمان ، فضعفت نفسه وأنهزم ، ووصل الأفرنج الى سروج ، فتسلموها وقتلوا أهلها وسبواهم ، إلا من أفلت منهم هزيما

وفي هذه السنة وصل كندفري صاحب بيت المقدس الى ثغر عكا ، وأغار عليه فأصابه سهم فقتله ، وكان قد عمر يافا وسلمها الى طنكري ، فلما قتل كندفري سار أخوه بغدوين القمص صاحب الرها الى بيت المقدس ، في خمسمائة فارس وراجل ، فجمع شمس الملوك دقاق عند معرفة خبر عبوره ، ونهض اليه معه الأمير جناح الدولة صاحب حمص ، فلقوه بالقرب من ثغر بيروت ، فسارع نحوه جناح الدولة في عسكره فظفر به وقتل بعض أصحابه .

وفيها افتتح الأفرنج حيفا ، على ساحل البحر بالسيف ، وأرسوف بالأمان ، وأخرجوا أهلها منها ، وفي آخر رجب منها فتحو قيسارية بالسيف وقتلوا أهلها ، ونهبوا ما فيها ، وأعانهم الجذونيون عليها ...

وفي هذه السنة خرج من مصر عسكر كثيف مع الأمير سعد الدولة المعروف بالعواسي ووصل الى (٧٦ و) عسقلان لجهاد

الأفرنج في أول شهر رمضان ، وأقام بحيث هو إلى ذي الحجة منها ، ورحل عن عسقلان ، ونهض إليه من الأفرنج ألف فارس وعشرة آلاف راجل ، والتقى الفريقان فكسرت ميمنة المسلمين وميسرتهم وتبعوهم ، وبقي سعد الدولة المقدم في نفر يسير من عسكره في القلب ، فحمل الأفرنج عليه ، وطلب الثبات ، فعاجله القضاء ، وكبا به جواده ، وسقط عنه إلى الأرض ، فاستشهد مكانه رحمه الله ، ومضى شهيدا مأجورا ، وعاد المسلمون على الأفرنج ، وتنامروا عليهم ، وبذلوا النفوس في الكرة اليهم ، فهزموهم إلى يافا ، وقتلوا منهم وأسروا ، وغنموا وكانت العقبة الحسنة لهم ، ولم يفقد إلا نفر يسير منهم....

سنة خمس وتسعين واربعمائة

.... وفيها وصل قمص (١١) الرها ، مقدم الأفرنج في عسكره المخذول الى ثغر بيروت ، فنزل عليه طمامعا في افتتاحه ، وحاربه وضايقه وطال مقامه عليه ، ولم يتها في مراد فرحل عنه .

ووردت مكاتبات فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس يلتمس فيها المعونة على دفع ابن صنجيل النازل في عسكره من الأفرنج على طرابلس ، ويستصرخ بالعسكر الدمشقي ، ويستغيث بهم ، فأجيب الى ما التمس ، ونهض العسكر نحوه ، وقد استدعى الامير جناح الدولة صاحب حمص ، فوصل ايضا في عسكره ، فاجتمعوا في عدد ثغر ، وقصدوا ناحيا انطربوس ، ونهد الأفرنج اليهم في جمعهم وحشدهم ، وتقارب الجيشان والتقيا هناك ، فأنفل عسكر المسلمين من عسكر المشركين ، وقتل منهم الخلق الكثير ، وقفل من (٧٦) وسلم الى دمشق وحمص بعد فقد من (٧٦ ظ) فقد منهم ، ووصلوا في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة

وفي هذه السنة خرجت العساكر المصرية من مصر ، لانجاد ولاية الساحل في الثغور الباقية في ايديهم منها على منازلهم من احزاب الأفرنج ، ووصلت الى عسقلان في رجب ، ولما عرف بغدوين قمص بيت المقدس وصدولهم ، نهض نحوهم في جمعه من الأفرنج في تقدير سبعمائة فارس وراجل ، اختارهم ، فهجم بهم على العسكر المصري ، فنصره الله على حربه المفلول ، وقتلوا اكثر خيله ورجاله ، وانهزم الى الرملة في ثلاثة نفر ، وتبعوه واحاطوا به ، فتذكر وخرج على غفلة منهم ، وقصد

- ٥٠٣٣ -

يافا ، وأفلت منهم ، فكان قد اختفى في أجمة قصب حين
تبع ، وأحرقت تلك الأجمة ، ولحقت النار بعض جسده ، ونجا
منها ، وحصل بيافا ، فأوقع السيف في أصحابه وقتل وأسر من
ظفر به في الرملة من رجاله وأبطاله ، وحملوا الى مصر في آخر
رجب من السنة .

وفي هذا الوقت وصلت مراكب الأفرنج في البحر ، تقدير
أربعين مركبا ، ووردت الأخبار بأن البحر هاج بها ، واخذت
أرياحه عليها ، فعطب أكثرها ولم يسلم منها إلا القليل ، وكانت
مشحنة بالرجال والمال .

سنة ست وتسعين وأربعمائة

.... وفيها ورد الخبر من حمص ، بأن صاحبها الامير جناح الدولة حسين اتابك ، نزل من القلعة الى الجامع ، لصلاة الجمعة وحوله خواص اصحابه بالاسلح التام ، فلما حصل بموضع مصلاة على رسمه ، وذب عليه ثلاثة نفر عجم من الباطنية ومعهم شيخ ، يدعون له ويسـتميحونه ، في زي الزهاد ، فوعدهم ، فـضربوه (١٢) بسكاكينهم ، وقتلوه وقتلوا معه جماعة من اصحابه ، وكان في الجامع عشرة نفر من متصوفة العجم ، وغيرهم ، فاتهموا ، وقتلوا صبرا مظلومين في الوقت عن آخرهم .

وانزعج اهل حمص لهذا الحادث واجفلوا في الحال وهرب اكثر سكانها من الاتراك إلى دمشق ، واضطربت الاحوال بها ، وراسلوا الملك شمس الملوك بدمشق ياتمسون إنفاذ من يتسلم حمص ، ويعتمد عليه في حمايتها ، والذب عنها قبل انتهاء الخبر الى الافرنج ، وامتداد اطعامهم فيها ، فسار الملك شمس الملوك وظهر الدين اتابك في العسكر من دمشق ، ووصل إلى حمص ، وتسلمها ، وحصل في قلعتها ، ووافق ذلك وصول الافرنج إليها ، ونزولهم على الرستن لضايقتها ومنازلتها ، فحين عرفوا ذلك احجموا عن القرب اليها والذو منها ، ورحلوا عنها .

وقد كان المعروف بالحكيم المنجم الباطني ، صاحب الملك فخر الملوك رضوان صاحب حلب أول من أظهر مذهب الباطنية في حلب والشام ، وهو الذي ندب الثلاثة النفر لقتل جناح الدولة بـحمص ، وورد بهلاكه بعد الحادثة بأربعة عشر (١٣) يوما .

... وخرجت العساكر المصرية من مصر الى البر ، و
الاسطول في البحر مع شرف المعالي ولد الافضل شاهنشاه ، و
كتب في استدعاء المعونة على (٧٧ ظ) الجهاد ، وبنصرة العباد
والبلاد ، بانفاذ العسكر الدمشقي ، فأجيب الى ذلك ، وعاقت
عن مسيره أسباب حدثت ، و صوادف صدفت ، ووصل اسطول
البحر ، و نزل على يافا آخر شوال ، وأقام اياما وتفارق
الاسطول والعساكر الى الساحل وكانت الاسعار قد ارتفعت ،
والاقوات قد قلت ، فصلحت بما وصل من الاسطول من الغلة و
رخص الاسعار ، إلا أن غارات الأفرنج متصلة عليها

سنة سبع و تسعين و أربعمئة

في رجب منها وردت الأخبار بوصول مراكب الأفرنج في البحر من بلادهم إلى ظاهر اللاذقية مشحونة بالتجار والأجناد والحجاج ، و غير ذلك ، وأن صنجيل المنازل لطرابلس استنجد بهم على طرابلس ، في مضايقتها والمعونة على ملكتها ، وأنهم وصلوا إليه فاجتمعوا معه على منازلها ومضايقتها ، فقَاتلوا أياما ورحلوا عنها ، ونزلوا على ثغر جبيل فقَاتلوه وضايقوه وملكوه بالأمان ، فلما حصل في ملكتهم ، غدروا بأهله ، ولم يبقوا بما بذلوه من الأمان وصادروهم ، واستنفذوا أحوالهم وأموالهم بالعقوبات وأنواع العذاب

وورد الخبر باجتماع الأميرين : سكران بن ارتق ، و جكرمش صاحب الموصل في عسكرهما (وأنهما) تعاهدا وتعاقدا على المجاهدة في اعداء الله الأفرنج ، وبذل الطاقة والاستطاعة في حربهم ، ونزلا في أوائل شعبان من السنة نفسها برأس العين ، ونهض بيمند و طنكري في عسكريهما من ناحية انطاكية إلى الرها لانجاد صاحبها على الأميرين المذكورين ، فلما قربا من عسكر المسلمين النازلين على الرها ، تآهب كل من الفريقين للقاء صاحبه ، فالتقوا في تاسع شعبان فنصر الله المسلمين عليهم ، وهزمهم وقتلوا منهم (٧٨) مقتله كثيرة ، وكانت عدتهم تزيد على عشرة آلاف فارس وراجل سوى السواد والاتباع ، وانهزم بيمند و طنكري في نفر يسير وكان نصرا حسنا للمسلمين لم يتهيا مثله ، و به ضعفت نفوس الأفرنج ، و قلت عدتهم ، و فلت شوكتهم وشكتهم وقويت نفوس المسلمين وارهفت (١٤) عزائمهم في نصره الدين ، ومجاهدة الملحدين ،

و تباشر الناس بالنصر عليهم ، و ايقنوا بالذكاية فيهم ، و الادالة منهم .

و في هذا الشهر ورد الخبر بنزول بغدوين ملك الافرنج ، صاحب بيت المقدس ، في عسكره على ثغر عكا ، و معه الجندويون في المراكب في البحر و البر وهم الذين كانوا ملكوا ثغر جبيل في نيف و تسعين مركبا ، فحصره من جهاته و ضايقه من جوانبه ، و لازموه بالقتال الى أن عجز و اليه و رجاله عن حربهم ، و ضعف أهله عن المقاتلة لهم و ملكوه بالسيف قهرا ، و كان الوالي به الامير زهر الدولة بنا (١٥) الجيوشي قد خرج منه لعجزه عن حمايته ، و ضعفه عن المراماة دونه ، و انفذ ياتمس منه الامان له و لأهل الثغر ، ليأسه من وصول نجدة أو معونة ، فلما ملك الثغر تم على حاله منهزما الى دمشق ، فدخلها و أكرمه ظهير الدين اتابك ، و احسن تلقيه ، و كان وصوله الى دمشق في يوم الخميس لثلاث بقين من شعبان ، و تقدم شمس الملوك دقاق و ظهير الدين اتابك في حقه ، بما طيب نفسه و أكد أنسه ، و أقام بدمشق الى أن تسهلت له السبيل في العودة الى مصر ، فتوجه اليها عائدا ، و وصل اليها سالما ، و اوضح عذره فيما تم عليه من الغلبة ، فقبل عذره بعد الإنكار عليه ، و الغيظ من فعله

و في هذه السنة ورد الخبر من ناحية طراباس بظهور فخر الملك ابن عمار ، صاحبها في عسكره و أهل البلد ، و قصدهم الحصن الذي بناه صنجيل عليهم (١٦) و انهم هجموا عليه على غرة ممن فيه فقتل من به و نهب ما فيه ، و أحرق ، و أخرج ، و اخذ منه السلاح و المال و اللباج و الفضة الشيء الكثير ، و عاد الى طراباس سالما غانما ، في التاسع عشر من ذي الحجة ، و قيل إن بيمند صاحب انطاكية ركب في البحر ، و مضى الى الافرنج يستصرخهم ، و يستنجد بهم على المسلمين في الشام ، و أقام مدة ، و عاد عنهم مذكفنا الى انطاكية .

سنة ثمان و تسعين و اربعمائة

فيها عرض لظهير الدين اتابك مرض اشتد به ، ولازمه ، وخاف منه على نفسه ، واشفق على اهله وولده وأصحابه ورعيته إن تم عليه ، وتواصلت مكاتبات فخر الملك بن عمار (٧٩ ظ) ورسله من طرابلس بالاستصراخ والاستنجاد على الأفرنج النازلين عليها ، والبعث على تهجيل اعانته بمن يصل اليه من العساكر ، لكشف غمته ، وتفريج كربته ...

وفي هذه السنة وردت الاخبار بهلاك صندجيل مقدم الافرنج النازلين على ثغر طرابلس ، في رابع جمادى الاولى ، بعد أن كان الأمر استقر بينه وبين فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس من المهادنة ، على أن يكون ظاهر طرابلس لصندجيل بحيث لا (٨٠ و) يقطع الميرة عنها ، ولا يمنع المسافرين منها ...

و في أول شعبان توجه ظهير الدين اتابك الى بعلبك في العسكر ، ونزل عليها ... ورحل عنها متوجها الى ناحية حمص ، وقصد رمنية ، ونزل عليها ، ووفد عليه خالق كثير من جبل بهراء (١٧) فهجموا رمنية على حين غفلة من أهلها ، و غرة من مستحفظها ، وقتلوا من بها ، وبأعمالها ، والحصن المحدث عليها من الافرنج ، واحرق ما أمكن من احراقه في الحصن وغيره ، وهدم الحصن ، وملك ابراج رمنية وقتل من كان فيها و عاد العسكر الى حمص

و في رجب خرج الملك فخر الملوك رضوان صاحب حلب و جمع خلقا كثيرا ، و عزم على قصد طرابلس لمعونة فخر الملك بن عمار على الافرنج النازلين عليه ، و كان الأرمن الذين في حصن ارتاح

قد سلموا اليه الحصن لما شملهم من جور الافرنج ، و تزايد ظلمهم ، فلما عرف طنكري ذلك ، خرج من انطاكية لقصد ارتاح ، واستعادتها ، و جمع من في اعماله من الافرنج ، و نزل عليها ، و توجه نحوه فخر الملوك في عسكره لابعاده عنها ، و قد جمع وحشد من أمكنة من عمل حلب ، و الاحداث الحلبيين ، لقصد الجهاد ، فلما تقاربا نشبت الحرب بين الفريقين ، فثبت راجل المسلمين ، و انهزمت الخيل ، و وقع القتل في الرجالة ، و لم يسلم منهم الا من كتب الله سلامته ، و وصل الفل الى حلب و احصي المفقود من الخيل و الرجل ، فكان تقدير ثلاثة آلاف نفس ، و حين عرف ذلك من كان في ارتاح من المسلمين ، هربوا باسره من منها ، و قصد الافرنج بلد حلب ، فأقبل أهله منه ، و نهب من نهب ، و سبي من سبي ، و ذلك في الثالث من شعبان ، و اضطربت احوال من بالشام بعد الأمن و السكون (١٨) .

و في هذه السنة خرج من مصر عسكر كثيف يزيد على عشرة آلاف فارس و راجل مع الأمير شرف المعالي ولد الافضل ، و كوتب ظهير الدين اتابك بالاستدعاء للمعونة و الاعتضاد الى جهاد الكفرة الاضداد ، فلم يتمكن من الاجابة الى المراد ، لاسباب عاقته عن المعونة و الاسعاد ، و توجه في العسكر الى بصرى ، فنزل عليها عازما على مضايقتها ، و فيها الملك ارتاش ابن تاج الدولة و ايتكين الحلبي ، لانهما كانا عند الافرنج على ما شرح من امرهما اولا ، ثم استدرك الرأي و استصوب المسير الى العسكر المصري للاعتضاد على الجهاد ، فسار اليه و وصل (٨١ و) الى ظاهر عسقلان ، و نزل قريبا منه ، و عرف الافرنج الخبر ، فجمعوا ، و قصدوا عسقلان ، و التقى الفريقان في رابع عشر ذي الحجة من السنة ، فيما بين يافا و عسقلان ، فاستظهر الافرنج على المسلمين ، و قتلوا و ابي عسقلان ، و اسروا بعض المتقدمين ، و انهزم عسكر مصر الى عسقلان ، و عسكر دمشق الى بصرى ، و قيل ان الذين قتلوا من المسلمين بازاء الذين قتلوا من

المشركين ، ولما عاد ظهير الدين والعسكر الى بصرى ، وجد الملك ارتاش وايتكين الحلبي لما يدسا من نصرة الأفرنج لهما ، قد قصدا ناحية الرحبة ، واقاما بها مدة وتفرقا ، وراسل المقيمان ببصرى : أنوشتكين وقلوا من (١٩) ظهير الدين يطلبان منه الامان ، والمهلة لهما بالتسليم مدة اقتراحهما ، فأجاب الى ما التمساه منه ، ورحل عنهما ، ولما بلغ الاجل منتهاه ، والوعد مداه ، سلما بصرى اليه ، وخرجا منها ، ووفى لهما بما وعدهما من الامان والاقطاع ، وزاد على ذلك ، وإقامة عليه مدة أيامه •

سنة تسع وتسعين واربعمائة

فيها خرج الأفرنج الى سواد طبرية وشرعوا في عمارة حصن
علعال (٢٠) فيما بين السواد والبثنية ، وكان من الحصون
الموصوفة بالمنعة والحصانة ، فلما عرف ظهير الدين اتابك هذا
العزم منهم ، أشفق من اتمام الأمر فيه ، فيصعب تدارك الأمر
وتلافيه ، فنهض في العسكر ، وقصدهم وهو على غفلة مما
دهمهم ، فأوقع بهم ، وقتلهم بأسرهم ، وملك الحصن بما فيه
من الاتهم وكراعهم وأثاثهم ، وعاد الى دمشق برؤوسهم
وأسرانهم وغنائمهم ، وهي على غاية الكثرة ، في يوم الأحد
النصف من شهر ربيع الآخر

وفي السادس والعشرين من جمادى الأولى ورد الخبر بقتل
خلف بن ملاعب ، صاحب افامية قتله قوم من الباطنية نفذهم
اليه المعروف بأبي طاهر الصائغ العجمي ، من حلب ، وهو
الذي قام للباطنية مقام الحكيم المنجم الباطني ، بعد
هلاكه ، بموافقة رجل (٨١ ظ) من دعواتهم يعرف بابن القنچ
السرمني (٢١) ، كان مقيما بافامية ، وقد قرر ذلك مع اهلها ،
فدقبوا نقبا في السور حتى تمكثوا من الوصول اليه ، فلما قربوا
منه ، واحس بهم لقيهم فوثب اليه بعضهم فطعنه في جوفه فرمى
نفسه في القلعة يريد بعض دور اولاده (٢٢) فطعنه أخر طعنة ثانية
فعاش ساعة ومات ، وصاح الصائغ على القلعة و (حين نادوا
بشعار الملك رضوان نجبا اولاده وخاصته من السور) (٢٣) ،
وملكوا عليهم الموضع وقتلوا من قتلوا ، وسلم ولده مصبح بن خلف
ابن ملاعب ، وتوجه الى شيزر ، واقام هناك مدة فأطلق منها .

ووصل طنكري الى افامية عقيب هذه الكائنة طامعا فيها ، ومعه أخ كان لابن القنچ الداعي السرميني كان مأسورا في يده ، فقرر له شيئا دفعه اليه ، فرحل عنه

وورد الخبر بأن مصبح بن ملاعب الذي افلت من ذوبة افامية التجأ الى طنكري صاحب انطاكية ، وحرضه على العود الى افامية ، وأطمعه في اخذها لقلّة القوت بها ، فنهض اليها ، ونزل عليها ، وضايقها الى ان تسلمها بالأمان في الثالث عشر من المحرم سنة خمسمائة ، فلما حصل ابن القنچ السرميني الباطني في يده قتله بالعقوبة ، وحمل أبا طاهر الصائغ معه واصحابه اسرى ، ولم يف لهم بما بذل من الأمان ، وكان القوت قد نفذ من افامية ، ولم تزل الاسرى في يده الى ان فدوا نفوسهم بمال بذلوه له فأطلقهم ووصلوا الى حلب .

سنة خمسمائة

فيها تزايد فساد الأفرنج في أعمال السودان وحووران وجبل عوف ، وانتهت الأخبار بذلك وشكا أهلها الى ظهير الدين اتابك فجمع العسكر ، ومن انضاف اليه من التركمان ، ونهض بهم وخيم في السودان ، وكان الامير عز الملك الوالي بصور قد نهض منها في عسكره الى حصن (٢٤) تبين من عمل الأفرنج ، فهجم ربضه ، وقتل من كان فيه ونهب وغنم ، واتصل الخبر ببغديون ملك الأفرنج ، فنهض اليه من طبرية ، ونهض اتابك الى حصن بالقرب من طبرية فيه جماعة من فرسان الأفرنجية ، فقاتله وملكه ، وقتل من كان فيه وانكفا الى المدان (٢٥) وعاد الأفرنج اليه ، فلما قربوا منه اندفع العسكر الى ناحية زرا (٢٦) ، وتلاقت طلائع الفريقين وعزموا على المصاف والالتقاء ، وقد قويت نفوس المسلمين ، فلما كان من غد ذلك اليوم ، ركب العسكر ، وقد تأهب للقاء على تلك النية وزحفوا الى موضع مخيمهم ، فصادفهم وقد رحلوا عائدين الى طبرية ، ثم منها الى عكا فعاد ظهير الدين عند ذلك في العسكر الى دمشق

وفي هذه السنة تتابعت المكاتبات الى السلاطان غياث الدنيا والدين محمد بن ملك شاه ، من ظهير الدين اتابك ، وفخر الملك ابن عمار ، صاحب طرابلس بعظيم ما ارتكبه الأفرنج من الفساد في البلاد ، وتملك المعقل والحصون بالشام والساحل ، والفتك في المسلمين ، ومضايقة ثغر طرابلس ، والاستغاثة اليه ، والاستصراخ والحص على تدارك الناس بالدهونة ، فندب السلطان لما عرف هذه الحال الامير جاولي سقاوه ، واميرا من مقدمي عسكره كبيرا في عسكر كثيف من الاتراك ، وكتب الى

بغداد ، والى الامير سيف الدولة سدة بن مزيد ، والى جكرمش صاحب الموصل بتقويته بالمال والرجال على الجهاد ، والمبالغة في اسعاده وانجاده ، واقطع الرحبة وماعلى الفرات ، فثقل امره على المكاتبين ، فدافعه ابن مزيد ، وسار نحو الموصل يلتمس من جكرمش ما وقع به عليه ، فتوقف عنه ، فنزل (٨٥ و) على قلعة السن (٢٧) ونهبها ، واجتمع اليه خلق كثير ، وخرج جكرمش الى لقائه فظفر به جاولي سقاوه باستباح عسكره ، وانهزم ولده الى الموصل ، فلما عرف ولده ذاك كاتب قلعج ارسلان بن قتلش يستنجده من ملاطية ، ويبدل له تسليم البلاد والاعمال التي في يده اليه ، وكان جكرمش قد جمع مالا عظيما من الجزيرة والموصل ، وكان جميل السيرة (٢٨) في الرعية ، عادلا في ولايته ، مشهورا بالانصاف في اعمال اياله ، فلما عرف قلعج ارسلان بن سليمان ما كتب به اليه ولد جكرمش ، اجابه الى ملتمسه ، وسار نحووه في عسكره ، ووصل الى نصيبين ، لانه كان في بعض عسكره وباقيه في بلاد الروم لانجاد ملك القسطنطينية على الافرنج ، ولما تقارب عسكر قلعج من عسكر جاولي سقاوه ، والتقت طلائع الفريقين ، ظفر قوم من اصحاب قلعج بقوم من اصحاب جاولي فقتلوا بعضا ، واسروا بعضا ، فرحل جاولي يطلب عسكر قلعج ، وقد عرف انه قد انفذ يستدعي بقية عسكره من بلاد الروم ، وانه في قل ، وطلب ناحية الخابور ، وتوجه منها الى الرحبة ، ونزل عليها وضايقتها ، وراسل محمدا واليها من قبل الملك شمس الملوك دقاق صاحب دمشق - وعنده الملك ارتاش بن تاج الدولة الهارب من دمشق بعد وفاة الملك دقاق اخيه مقيما - بالتسليم اليه ، فلم يحفل بمراسلته وايسه من طلبته ، فأقام عليها مضايقا لها مدة .

ووصل اليه الامير نجم الدين ايل غازي بن ارتق ، في جماعة وافرة من عسكره التركمان ، واستنجد عليها بالملك فخر الملوك

رضوان ، فوصل اليه في عسكره بعد ان هانن طنكري صاحب انطاكية ، فلما فصل عن حلب ، وعرف جوسلين صاحب تل باشر بعده عن حلب ، واصل الغارات على أعمالها من جميع جهاتها ، ولم يزل جاولي مقيما على الرحبة منذ اول رجب وإلى الثاني والعشرين من شهر رمضان ، وزاد الفرات زيادته المعروفة ، فركب اصحاب جاولي الزواريق وصعدوا (٨٥ ظ) طالبين سور البلد بمواطاة من بعض اهل البلد ، فلم يتهيأ لهم امر مع من واطاهم ، بل هجموا السور وملكوا البلد ونهبوه ...

وقد كان قلعج ارسلان انفذ بعض مقدمي اصحابه الى بلاد الروم ، في خلاق كثير من التركمان ، لانجاد ملك القسطنطينية على بيمند ومن معه من الافرنج الواصلين الى الشام ، فانضافوا الى ملك الروم وماحشده من عساكر الروم ، فلما اجتمع للفريقين مااجتمع رتبوا (٨٦ و) المصاف ، والتقوا فاستظهر الروم على الافرنج ، وكسروهم كسرة شنيعة اتت على اكثرهم بالقتل والاسر ، وتفرق السالم الباقي منهم عائدين الى بلادهم ، وفصل اصحاب قلعج ارسلان الاتراك الى اماكنهم ، بعد ان اكرمهم ، وخلع عليهم ، واحسن اليهم

وفي هذه السنة وصل الى دمشق الامير الاصفهذي التركماني من ناحية عمله ، فأكرمه ظهير الدين ، واحسن تلقيه ، واقطعه وادي موسى ومآب والشراة والجبال والبلقاء ، وتوجه اليها في عسكره ، وكان الافرنج قد نهضوا الى هذه الاعمال ، وقتلوا فيها وسبوا ونهبوا ماقدروا عليه منها ، فلما وصل اليها وجد أهلها على غاية من الخوف ، وسوء الحال عما جرى عليهم من الافرنج فأقام بها .

ونهض الافرنج اليه لما عرفوا خبره من ناحية البرية ، ونزلوا

بازاء المكان الذي هو نازل به ، واهملوه الى ان وجدوا الفرصة فيه فكبسوه على غرة ، فانهزم في اكثر عسكره ، وهلك باقيه ، واستولوا على سواده ، ووصل الى عين الكتيبة من ناحية حوران ، والعسكر الدمشقي نازل عليها ، فالتقاه ظهير الدين متوجعا له بما جرى عليه ، ومسليا عما نهب وعوضه ، واطاق له ماصلحت به حاله .

سنة احدى وخمسمائة

فيها جمع ملك الافرنج ببغديين حزبه المفلول ، وعسكره
المخذول ، وقصد صور ، ونزل بازائه ، وشرع في عمارة حصن
بظاهرها على تل المعشوقة ، واقام شهرا ، وصانعه واليه على
سبعة الاف دينار ، فقبضها منه ورحل عنه

وفي شعبان من هذه السنة اشتد الامر بفخر الملك بن عمار
بطرابلس ، من حصار الافرنج ، وتطاول أيامه ، وتمادى
الترقب لوصول الانجاد ، وتمادى تأخر الاسعاد ، فأنفذ الى
دمشق يستدعي وصول الامير ارتق بن عبدالرزاق ، احد امراء
دمشق اليه ، ليتحدث معه بما في نفسه ، فأجابه الى ذلك ،
واستأنن ظهير الدين في ذلك ، فأذن له ، وتوجه نحوه وقد كان
فخر الملك خرج من طرابلس في البر في تقدير خمسمائة فارس
وراجل ، ومعه هدايا وتحف اعدها للسلطان عند مضيه اليه الى
بغداد ، فلما وصل ارتق اليه واجتمع معه ، تقرر الحال
بينهما على وصوله الى دمشق في صحبتته ، فوصل اليها وانزل
في مرج باب الحديد بظاهرها ، وبالغ ظهير الدين في
اكرامه ، وتناهى في احترامه ، وحمل اليه امراء العسكرية
ومقدموه من الخيل والبغال والجمال وغير ذلك مما امكنهم حمله
واتحافه به ، وكان فخر الملك المذكور قد استناب عنه في حفظها
ابا المناقب ابن عمه ، ووجوه اصحابه وغلماينه ، واطلق لهم
واجب ستة اشهر ، واستحلهم وتوثق منهم ، فأظهر ابن عمه
الخلافة له والعصيان عليه ، ونادى بشعار الافضل بن امير
الجيوش بمصر ، فلما عرف فخر الملك ما بدا منه كتب الى
اصحابه يأمرهم بالقبض عليه ، وحمل الى حصن

الخوابي (٢٩) ، ففعل ذلك ، وتوجه فخر الملك الى بغداد ومعه تاج الملوك بوري بن ظهير الدين اتابك

فلما وصلا الى بغداد لقي فخر الملك من السلطان من الاكرام والاحترام مازاد على امله ، وتقدم الى جماعة من اكابر الامراء بالمسير معه لمعدونته وانجاده على طرد محاصري بلده ، والايقاع بهم ، والابعاد لهم ، وقرر مع العسكر المجرد معه الامام بالموصل ، وانتزاعها من يدي جاولي سقاوه ، ثم المصير بعد ذلك الى طرابلس ، فجرى ما تقدم به الشرح من ذلك ، وطال مقام فخر الملك ، طولا ضجرا معه ، وعاد الى دمشق في نصف المحرم سنة اثنتين وخمسمائة .

..... واقام فخر الملك بن عمار في دمشق بعد وصوله اليها اياما ، وتوجه منها مع خيل من عسكر دمشق جردت معه الى جبلة ، فدخلها واطاعه اهلها ، وانفذ اهل طرابلس الى الافضل بمصر يلتمسون منه انفاذ وال يصل اليهم في البحر ، ومعه الغلة والميرة في المراكب لتسلم اليه البلد ، فوصل اليهم شرف الدولة ابن ابي الطيب واليا من قبل الافضل ، ومعه الغلة فلما وصل اليها ، وحصل فيها ، قبض على جماعة اهل فخر الملك بن عمار واصحابه ، ونخائره والاته واثاته ، وحمل الجميع الى مصر في البحر .

وفي هذه السنة اسرى ظهير الدين اتابك في عسكره الى طبرية ، وفرق عسكره فرقتين نفذ احدهما الى ارض فلسطين ، والاخرى غار بها على طبرية ، فخرج اليه صاحبها في رجاله المعروف بجر فاس ، وهو من مقدمي الافرنج المشهورين بالفروسية والشجاعة (٨٨ و) والبسالة ، وشدة المراس ، يجري مجرى الملك بغدوين في التقدم على الافرنج ، فالتقاء واحاطت خيل الاتراك به وباصحابه ، فقتل اكثرهم واسر هو وجماعة معه ،

وحملوا الى دمشق (٣٠) ، فأنفذ بعضهم هدية الى السلطان
وقتل جرفاس ومن كان معه في الاسر من اصحابه بعد ان بذلوا في
اطلاقهم جملة من المال فلم يقبلها ...

وفي هذه السنة نهض بغدوين في عسكره المخذول من الافرنج
نحو ثغر صيدا ، فنزل عليه في البحر والبر ، ونصب البرج
الخشب عليه ، ووصل الاسطول المصري للدفع عنه ، والحماية
له فظهروا على مراكب الجنوية ، وعسكر البر ، واتصل بهم
نهوض العسكر الدمشقي لحماية صيدا ، والذب عنها ، فرحلوا
عنها عائدين الى اماكنهم .

سنة اثنتين وخمسمائة

فيها انفذ صاحب عرقة (٣١) الى ظهير الدين اتابك رسوله ، يلتمس منه المعونة على دفع الافرنج عنها ، وانفاذ من يتسلمها ، فندب بعض ثقاته فتسلمها ، واقام واليها (٣٢) ، منتظرا وصول العسكر اليها ، والوفاء بما وعد به من الخلع عليه ، والاحسان اليه ، فحدث في (٨٨ ظ) الوقت من الذلوج والامطار ماعاق المسير اليها ، وقل القوت بها ، وانقطعت الميرة عنها ، فبادر الافرنج بالنزول عليها ، وتوجه ظهير الدين عند ذاك اليها ، فصادفهم قد احاطوا بها ، ولم يتمكن من دفعهم عنها ، وعاد الى حصن الاكمة (٣٣) ، ونزل عليه وقاتله فلما عرف الافرنج ذلك ، نهضوا اليه في تقدير ثلاثمائة فارس لانجاد من بالاكمة ، فوصلوا اليهم ليلا ، فقويت نفوسهم ، واقتضى رأي اتابك الرحيل عنها بحكم من صار فيها منهم ، فرحل كالمهزم ، وطمع فيه ، وتتبع العسكر ، فغنم من الخيل والكراع غنيمة كبيرة وتفرق العسكر في الشجر والجبال ، ووصلوا الى حمص على اقبح صفة ، وا شنع صورة ، من غير لقاء ولا محاربة ، وعاد الافرنج الى عرقة وعدم القوت فيها ، فملكوها بالامان ...

وفي شعبان من هذه السنة وصل ريمند بن صنجيل ، الذي كان نازلا على طراباس ، من بلاد الافرنج في جملة ستين مركبا في البحر مشحونة بالافرنج والجنويين ، فنزل على طراباس ، ووقع بينه وبين السرداني ابن اخت صنجيل مشاجرة ، ووصل طنكري صاحب انطاكية اليه لمعونة السرداني (٣٤) ، ووصل الملك بغدوين صاحب بيت المقدس في عسكره فأصلح بينهم ، وعاد السرداني الى عرقة ، ووجد بعض الافرنج في زرعها ، فأراد ضربه فضربه

الافرنجي فقتله ، ولما بلغ الخبر ريمند بن صنجيل ، وجه من تسلم
عركة من اصحابه .

ونزل الافرنج بجموعهم وحشدهم الى طرابلس ، وشرعوا في قتالها
ومضايقة اهلها منذ اول شعبان الى الحادي عشر من ذي
الحجة (٨٩ و) من السنة ، واسندوا ابراجهم الى السور ، فلما
شاهد الجند والمقاتلة واهل البلد سقط في ايديهم ، وايقنوا بالهلاك
وذلت نفوسهم لاسيما مع اليأس من تأخر وصول الاسطول المصري
في البحر بالميرة والنجة ، وقد كانت علة الاسطول ازيحت ، وسير
والريح تره ، لما يريد الله تعالى من نفاذ الامر المقضي ، فشد
الافرنج القتال عليها وهجموها من الابراج ، فملكوها بالسيف في
يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة من
السنة ، ونهبوا مافيها ، واسروا رجالها ، وسبوا نساءها
واطفالها ، وحصل في ايديهم من امتعتها ونخائرها ودفاتر دار
علمها ، وما كان منها في خزائن اربابها مالا يحد عنده ، ولا يحصر
فيذكر ، وسلم الوالي بها وجماعة من جنده ، كانوا التمسوا الامان
قبل فتحها فلما ملكت اطلقوا ، ووصلوا الى دمشق بعد ايام من
فتحها ، وعوقب اهلها واستصفيت اموالها ، واستثيرت نخائرتهم
من مكامننا ، ونزل بهم اشد البلاء ومؤلم العذاب (٣٥) .

وتقرر بين الافرنج والجنوبيين على ان يكون للجنوبيين الثلث من
البلد ، ومانهب منه ، والثلثان لريمند بن صنجيل ، وافردوا للملك
بغديون من الوسط مارضي به ، وكان طنكري لما لم يذل ما اراد من
نصرة السرداني ، قد عاد ونزل على بانياس وافتتحها وامن اهلها
في شوال من السنة ، ونزل على ثغر جبيل وفيه فخر الملك بسن
عمار ، والقوت فيه نزر قليل ، فلم يزل مضايقا له ولاهله الى يوم
الجمعة الثاني والعشرين من ذي الحجة ، فراسلهم وبذل لهم
الامان ، فأجابوه الى ذلك ، فتسلمه بالامان ، وخرج منه فخر الملك
ابن عمار سالما ، وقد وعده بإحسان النظر والاقطاع .

ووصل عقيب ذلك الاسطول المصري ، ولم يكن خرج للمصريين فيما تقدم مثله كثرة رجال ومراكب وعند وغلل لحماية طرابلس ، وتقويتها بالغلة الكثيرة والرجال والمال لمدة سنة ، مع تقوية مافي المملكة المصرية من ثغور الساحل واهله ، ووصل الى صور في يوم الثامن من فتح طرابلس ، وقد فات الامر فيها للقضاء النازل بأهلها ، واقام بالساحل مدة وفرقت الغلة في جهاتها ، وتمسك به اهل صور وصيدا (٨٩ ظ) وبيروت ، وشكوا احوالهم وضعفها عن محاربة الافرنج ، ولم يمكن الاسطول المقام ، فأقلع عائدا عند استقامة الريح الى مصر .

وفيهما وصل بيمند صاحب انطاكية من بلاد الافرنج ، عائدا الى مملكته في خلق كثير ، ونزل بالقرب من قسطنطينية ، وخرج ملكها اليه ومعه خلق كثير من التركمان المجاورين له فساقتلوا اياما ، وطلب الروم تقييحهم بكل نوع الى ان تفرقوا وتبددوا في البلاد ، واصلح بيمند امره مع الملك ، وبخل عليه ووطىء بساطه ، ومن معه وكفى الله ، وله الحمد امرهم وصرف عن الاسلام شرهم

وفيهما تردت رسل الملك بغدوين الى ظهير الدين في التماس المهانة والموادعة ، فاستقر الامر بينهما ، على ان يكون الاسود وجبل عوف اثلاثا : للاتراك الثلث ، وللافرنج والفلاحين الثلثان ، فانهقد الامر على هذه القضية ، وكتب الشرط على هذه النية .

وكان فخر الملك بن عمار ، لما ملك الافرنج جبيل ، خرج منها وتوجه الى شيزر ، فأكرمه صاحبها سلطان بن علي بن المقلد بن منقذ الكناني ، واحترمه ، وجماعته ، وعرض عليه المقام عنده ، فلم يفعل ، وتوجه إلى دمشق عائدا الى ظهير الدين أتاك فأكرمه وأنزله في دار ، وأقطع الزيداني وأعمالها في المحرم سنة ثلاث وخمسمائة .

سنة ثلاث وخمسمائة

لما فرغ الافرنج من طرابلس بعد افتتاحها ، وتسيير اعمالها ، وتقرير احوالها ، نهضوا إلى رمنية وعرف ظهير الدين ذاك من قصدهم ، فهض في العكس نحوها لحمايتها ، وخيم بإزائهم بجمص ، فلم يتمكن الافرنج من منازلها ومضايقتها ، وترددت بينه وبينهم مراسلات ومخاطبات أفضت الى أن أجاب كل واحد من الفريقين (٩٠ و) الى تقرير الموادعة على الأعمال ، والمسألة ، واستقر في ذلك على أن يكون للافرنج الثلث من استغلال البقاع ويسلم اليهم حصن المنيطرة (٣٦) وحصن ابسن عكار (٣٧) ويكفوا عن العيث والفساد في الأعمال والأطراف وأن يكون حصن مصيات (٣٨) وحصن الطوفان (٣٩) وحصن الأكراد (٤٠) داخلا في شرط الموادعة ويحمل أهلها عنها مالا معيناً في كل سنة الى الافرنج ، فأقاموا على ذلك مدة يسيرة فلم يلبثوا على ما تقرر وعادوا الى رسمهم في الفساد والعناد .

.... وقد كان ظهير الدين أتاك في عوده من وادي المياه ، قد اتصل به أن كمشكين الخادم التاجي ، الوالي ببعلبك قد راسل الافرنج بالتماس المصافاة منهم ، وبعثهم عن شن الغارات على الأطراف ، وأنه قد سير أخاه بايتكين الخادم التاجي الى السلطان للتوصل بالمحال الى افساد الحال فحين سمع ظهير الدين هذا الخبر ونفونه نذب جماعة من العسكر وقرر معهم المصير إلى المسالك والطرق التي لا بد من عبوره فيها لمسكه وحمله اليه فلم يقف لبايتكين المذكور على خبر وسار ظهير الدين في العسكر من طريقه وكتب الى تاج الملوك يأمره بالخروج في العسكر الى بعلبك ، والنزول عليها ، فسارع الى امتثال امره ، وسار اليها ونزل عليها على غفلة من أهلها وغرة ممن بها ثم أرسل الخادم المذكور يلتمس منه الدخول في

الطاعة وتسليم الموضوع إليه ويحذره من الاستمرار على المخالفة والعصيان ويخوفه الإقامة على ما يفضي إلى سفك الدماء وبالغ في الاعتذار له والانداز، فلم يجب إلى المراد والايثار وأصر على الخلف والانكار، ووافى عقيب ذلك ظهير الدين في العسكر ومن جمعه من الرجال، وزحف إلى بعلبك مقاتلاً لها، ونصب عليها المناجيق، وشرع في عمل آلة الحرب والذقوب لقصد الأماكن المستضعفة منها لانتهاز الفرصة فيها (٩١)، وترامي إليه من الأحداث أهلها وأجنادها جماعة أحسن اليهم وخلع عليهم ، وزحف إلى سورها وقاتل من عليه ، فقتل جماعة منهم ، فحين شاهدوا الجد في القتال والصبر على النزال جنحوا إلى النخول في الطاعة والتمس الخادم الاقالة ، وبذل تسليم البلد والحصن على شرط اشترطه ، واقطاع عينه ، وطلب بعض المقدمين للحديث معه والتوثيق لنفسه ، فنفذ إليه الامير بلتاش لمحله من الدولة فتقررت الحال على ما اقترحه وسلم البلد والحصن الذي هو غاية في المنعة والحصانة ومن العجائب المذكورة والقلاع المشهورة ، وخرج إليه وجري على عادته الجميلة في الصفع عن أساء إليه وأظهر 'عصيان عليه ، وعوضه عن بعلبك حصن صرخد وهو مشهور بالحصانة والمنعة أيضا (٤١) ، وأعاد إليه ما كان قبض عنه من ملك واقطاع (٤٢) بدمشق ، وسلم ظهير الدين أتاك ، بعلبك إلى ولده تاج الملوك بوري ، فرتب فيها من ثقات أصحابه من اعتمد عليه في حفظها وقرر أحوالها ، وكانت مدة المقام في منازلها خمسة وثلاثين يوما وسلمت وتسلمت في اليوم الثاني والعشرين من شهر رمضان سنة ثلاث وخمسمائة وأمر ظهير الدين بإزالة حوادث الظلم عن أهل بعلبك ، وتسويغ بعض خراجها (٤٣) أهلها ، وأعاد عليهم أملاكها كانت قد اغتصبت في قديم الزمان ، وكثر له الدعاء ، وتواصل عليه الثناء وعاد منكفياً إلى دمشق ، وورد عليه الخبر بعود السلطان من بغداد إلى أصفهان في شوال من السنة ...

وفي هذه السنة خرج طنكري من أنطاكية في حشده وأقربه المخدول ، إلى الثغور الشامية فملك طرسوس وما والاها ، وأخرج صاحب ملك

الروم منها ، وعاد إلى أنطاكية ، ثم خرج إلى شيزر وقرر عليها عشرة آلاف دينار ، مقاطعة تحمل إليه بعد أن عاث في عملها ، ونزل على حصن (٩١ ظ) الأكراد فتسلمه من أهله وتوجه إلى عرقة ، وكان الملك بغدوين وابن صنجيل قد نزلا على ثغر بيروت برا وبحرا ، فعاد طنكري إلى أنطاكية ، وسار جوسلين صاحب تل باشر (٤٤) إلى ثغر بيروت لمعاونة النازكين عليه من الأفرنج ، ويستنجد بهم على عسكر الأمير مودود النازلين على الرها ، وشرع الأفرنج في عمل البرج ، ونصبه على سور بيروت ، فحين نجز وزحفوا به كسر بحجارة المناجيق وأفسد ، فشرعوا في عمل غيره ، وعمل ابن صنجيل برجا آخر ، ووصل في الوقت من اسطول مصر في البحر تسعة عشر مركبا حربية ، فظهروا على مراكب الأفرنج وملكوا بعضها ، وبخلوا بالميرة إلى بيروت فقيوت بها نفوس من فيها من الرعية ، وأنفذ الملك إلى السويدية يستنجد بمن فيها من الجنوية في مراكبهم ، فوصل منها إلى بيروت أربعون مركبا مشحنة بالمقاتلة ، فزحف الأفرنج في البر والبحر إليها بأسره في يوم الجمعة الحادي والعشرين من شوال ، ونصبوا على السور برجين اشتدوا في القتال ، فقتل مقدم الاسطول المصري ، وخلق كثير من المسلمين ولم ير الأفرنج من ماتقدم وتأخر أشد من حرب هذا ، وانخذل الناس في البلد وأيقنوا بالهلكة ، فهجم الأفرنج على البلد آخر نهار هذا اليوم ، فملكوه بالسيف قهرا وغلبة وهرب الوالي الذي كان فيه في جماعة من أصحابه [ثم أمسك] وحمل إلى الأفرنج فقتل ومن كان ، وغنموا ما كان استصحبه من المال ، ونهب البلد وسبي من كان فيه ، وأسر واستصفيت أموالهم ونخائرتهم ، ووصل عقيب ذلك من مصر ثلاثمائة فارس نجده لبيروت ، فحين حصلوا بالاردن خرجت عليهم فرقة من الأفرنج يسيرة العدد ، فانهزموا منهم إلى الجبال ، فهلك منهم جماعة .

فلما تقرر أمر بيروت رحل الملك بغدوين في الأفرنج ، ونزل على ثغر صيدا ، وراسل أهله يلتمس منهم تسليمه ، فاستمهلوه مدة

عينوها ، فأجابهم إلى المهلة بعد أن قرر عليهم ستة الاف دينار تحمل اليه مقاطعة ، وكانت قبل ذلك ألفي دينار ، ورحل عنها الى بيت المقدس للحج ...

وفيها كاتب السلطان غياث الدنيا والدين الامير سكرمان القطبي ، صاحب أرمينية وميفارقين ، وشرف الدين مودود صاحب الموصل يأمرهما بالسير في العساكر الى جهاد الافرنج ، وحماية بلاد الموصل ، فجمعا واحتشدا ، ونهضا ونزلا بجزيرة بني نمير إلى أن تكامل وصول ولاية الاطراف اليهما ، وخلق كثير من المتطوعة ووصل اليهما ايضا الامير نجم الدين ايل غازي بن ارتق في خلق كثير من التركمان ، واجتمع المسلمون في عدد لايقوم بإلقائه جميع الافرنج ، واتفقت الاراء على افتتاح الجهاد بقصد الرها ومضايقتها ، إلى أن يسهل الله افتتاحها بحكم حصانتها ومنعتها .

فرحلوا بأسرهم ونزلوا عليها في العشر الثاني من شوال، واحاطوا بها من جهاتها كالنطاق ، ومنعوا الداخل والخارج بالسير إليها ، وكان القوت بها قليلا فأشرف من بها على الهلاك ، وغلا بها السعر وطالت مدة الحصر لها ، والتضييق عليها ، وحين عرف الافرنج صورة هذه الحال ، شرعوا في الجمع والاحتشاد والتأهب للذب عنها ، والاستعداد ، واتفقت الكلمة بينهم على هذه الحال ، واجتمع (٩٢ ظ) طنكري صاحب أنطاكية وابن صنجيل صاحب طرابلس ، والملك بغدوين ومقدموا ولاية الأعمال من الافرنج ، وتعاهدوا وتعاهدوا على الثبات في الحرب والمصابرة واللباث ، فلما استقرت الاحوال بينهم على البينة رحلوا بأسرهم الى ناحية الرها .

واتصلت الاخبار بظهير الدين أتابك ، وعرف صورة الحال فيما تقرر بينهم فسار من دمشق في العسكر وخيم على سلمية ، وعرف ان الافرنج قد قصدوا في طريقهم رمنية ، وفيها الامير شمس الخواص

واليها ، وأنهم لما نزلوا عليها ظهر إليهم في خيله وقتل منهم جماعة ،
ووصل الى المخيم بسليمة ، واجتمع إليه خلق كثير من الشام .
ووصل الخبر بحصول الأفرنج على الفرات عازمين على قطعها
(قصد) الرها ، فرحل اتابك في الحال وتوجه الى ناحية الرقة
وقلعة جعبر ، وقطع الفرات وتلوم هناك إلى أن عرف خبر الأفرنج ،
أنهم قد أحجموا عن العبور لتفرق سرايا العساكر الإسلامية
وطلائعهم في سائر الجهات والمسالك إلى الفرات .

ولما عرف المسلمون قرب الأفرنج منهم ، اتفقت الآراء فيما بينهم
على الإفراج لهم ليتمكنوا من لقائهم في الفضاء من شرقي الفرات ،
ورحلوا عن الرها في آخر نبي الحجة منها ، ونزلوا أرض حران على
سبيل الخديعة والمكر ، وكانت حران قد حصلت للامير مودود ،
وسلمها إلى نجم الدين ايل غازي بن أرتق ، وتوقف المسلمون عن
لقاء الأفرنج إلى أن يقربوا منهم ، ويصل إليهم عسكر دمشق ،
وفطن الأفرنج لهذا التدبير والاتفاق عليه ، فخافوا واستشعروا
الهلاك والخذلان ، وأجفلوا ناكصين على الأعقاب إلى شاطيء
الفرات ، وبلغ المسلمين خبرهم ، فنهضوا في إثرهم وأدركهم
سرعان الخيل وقد قطع الفرات بعضا من مقدميهم ، فغزم المسلمون
سوادهم وأثقالهم ، وأتوا على العدد الدثر من أتباعهم قتلا وأسرا
وتمزيقا في الفرات ، وامتلات الأيدي من الغنائم والأسلاب والأسبي
والدواب ، ولم يتمكن المسلمون من قطع الفرات للحاق بهم بحكم
اشتغالهم بأمر الرها ، والعود إليها ، وكانوا قد أخرجوا منها كل
ضعيف الحال ، ورتبوا جماعة من الأرمن لحفظها ، وحملوا إليها
ما صاحب العسكر الواصل من الأقوات تقوية لها وخرج بغدوين
الرويس (٩٣ و) صاحبها عنها وتوجه صحبة الأفرنج المنهزمين ،
وأقام عسكر الاسلام على الفرات اياما نازلا بازائهم ، ورحل طالبا
للعود الى منازل الرها ، وعرف ظهير الدين اتابك خبر صوبهم على
تلك الصفة فعاد منكفئا الى عمله لحمايته منهم ، بعد أن نفذ شطرا
وأفرا من معسكره الى النازلين على الرها لمعوتهم ، ووصل الى
دمشق وأقام من كان أنهضه من عسكره الى الرها الى أن خلت

البلاد منهم وأنن لهم في العود الى اماكنهم بعد اكرامهم والاحسان اليهم (٤٥) .

وترددت بين اتابك ظهير الدين ، وبين الامير شرف الدين مودود مراسلات ، افضت الى استحكام المودة بينهما ، واتفاق الكلمة ، وتاكيد اسباب الالفة ، فطال مقام عسكر الاسلام على الرها لامتناعها وحصانتها ، وقل تواصل الميرة الى المخيم ، وعدم وجودها ، فدعتهم الحاجة الى العود عنها ، ففترقوا بعد ان رتبوا من يقيم على حران لحصر الرها .

وحدث لنجم الدين ايل غازي بن ارتق استيحاء من ساكمان القطبي لامر تجدد بينهما ، فاجفل من حران الى ماردين ، فقبض ساكمان على ابن اخيه بك ، وحمله معه الى بلده مقيدا .

وبعد تفرق العسكر الاسلامية عن الرها عاد اليها بغدوين الرويس صاحبها ، وحصل بها ، والغارات متواصلة على اطرافها ، وقد كان الملك فخر الملوك رضوان صاحب حلب لما عرف هزيمة الافرنج خرج الى اعمال حلب ، واستعاد ما كان غلب الافرنج عليه منها ، وغار على عمل انطاكية ، وغنم منه غنيمة وافرة ، ولما عرف خبر عودهم عاد الى حلب ، ووصل الافرنج عقيب ذلك فافسدوا في عمل حلب ، وقتلوا واسروا خالقا كثيرا ، وعاد طنكري ونزل على الاثارب (٤٦) ، وملكها بعد طول حصرها والمضايقة لها ، وذلك في جمادى الاخرة من السنة ، وأمن اهلها ، وخرج منها من أراد الخروج ، وأقام من اثر المقام ، واستقرت الموادعة بعد ذلك بين الملك فخر الملوك رضوان وبين طنكري ، على أن يحمل اليه الملك من مال حلب في كل سنة عشرين الف دينار مقاطعة ، وعشرة رؤس خيلا ، وفكاك الاسرى ، واستقرت على هذا القضية .

وفيها وصل الملك بغدوين صاحب (٩٣ ظ) بيت المقدس الى

ناحية بعلبك وعزم على العيث والافساد في ناحية البقاع ، وترددت
المراسلة بينه وبين ظهير الدين اتابك في هذا المعنى ، الى ان تقرررت
الموادعة بينهما على ان يكون الثلث من استغلال البقاع للافرنج ،
والثلثان للمسلمين والفلاحين ، وكتبت بينهما المواصفة بهذا الشرح
في صفر من السنة ، ورحل عائدا الى عمله ، وقد فاز بما حصل في
يده وايدي عسكره من غنائم بعلبك ، والبقاع .

ووردت الاخبار فيها بوصول بعض ملوك الافرنج في البحر ، ومعه
نيف وستون مركبا مشحونة بالرجال لقصد الحج والغزو في بلاد
الاسلام ، فقصد بيت المقدس ، وتوجه اليه بغدوين واجتمع معه ،
وتقرر بينهما قصد البلاد ، فلما عادا من بيت المقدس نزلا على ثغر
صيدا في ثالث شهر ربيع الاخر سنة اربع وخمسة وضايقوه برا
وبحرا ، وكان الاسطول المصري مقيما على ثغر صور ، ولم يتمكن
من انجاد صيدا ، فعملوا البرج وزحفوا به اليها ، وهو ملبس بحطب
الكرم والبسط وجلود البقر الطرية ، ليمنع من الحجارة والنفط ،
وكانوا اذا احكموه على هذه الصورة نقلوه على بكر تركب تحته في
عدة ايام متفرقة ، فاذا كان يوم الحرب وقرب من السور ، زحفوا به
وفيه الماء والخل لطفي النار ، والة الحرب .

فلما عين من بصيدا هذا الامر ، ضعفت نفوسهم ، واشفقوا من
مثل نوبة بيروت ، فاخرج اليهما قاضيها وجماعة من شيوخها ،
وطلبوا من بغدوين الامان ، فاجابهم الى ذلك ، وامنهم والعسكرية
معهم على النفوس والاموال ، واطلاق من اراد الخروج منها الى
دمشق ، واستحلفوه على ذلك وتوثقوا منه وخرج الوالي والزمنا
وجميع الاجناد والعسكرية ، وخلق كثير من اهل البلد ، وتوجهوا
الى دمشق لعشر بقين من جمادى (الاولى) (٤٧) لسنة اربع
وخمسمائة ، وكانت مدة الحصار سبعة واربعين يوما ، ورتب
بغدوين الاحوال بها والحافظين لها ، وعاد الى بيت المقدس ، ثم عاد
بعد مدة يسيرة الى صيدا ، فقرر على من اقام بها نيافا وعشرين الف

- ٥٠٦٠ -

بينار ، فافقرهم واستغرق احوالهم ، وصادر من علم ان له تنبيه
منهم .

سنة اربع وخمسمائة

(٩٤ و) في هذه السنة وردت الاخبار بان جماعة من التجار المسافرين خرجت من تنيس (٤٨) ودمياط ومصر ببضائع واموال جمّة ، كانوا قد ضجروا وملوا طول المقام ، وتعذر مسير الاسطول في البحر ، وحملوا نفوسهم على الخطر ، واقبلوا في البحر ، فصادفتهم مراكب الافرنج ، فاخذتهم وحصل في ايديهم من الامتعة والمال ما يزيد على مائة الف دينار ، واسروهم وعاقبوهم ، واشتروا انفسهم بما بقي لهم من النخائر في دمشق وغيرها .

واما بغدوين فانه لما عاد من صيدا ، قصد عسقلان ، وغار عليها ، وكان واليها المعروف بشمس الخلافة يراسل بغدوين ، فاستقرت الحال بينهما على مال يحمله اليه ، ويرحل عنه ويكف الاثية عن عسقلان ، وكان شمس الخلافة ارغب في التجارة من المحاربة ، ومال الى المودعة والمسالمة وايمان السابلة ، وقرر على اهل عسقلان سبعة الاف دينار تحمل اليه في مدة سنة وثلاثة شهور ، وانتهى الخبر بذلك الى الافضل صاحب مصر في شوال ، فانكر هذه الحال ، واسرها في نفسه ، ولم يبدها لاحد من خاصته ، وجهاز عسكريا الى عسقلان مع وال يكون مكان شمس الخلافة ، فلما قرب من عسقلان وعرف شمس الخلافة ذاك اظهر الخلاف على الافضل ، وجاهر بالعصيان عليه ، واخرج من كان عنده من العسكرية لخوفه من تدبيرهم عليه من الافضل لما يعلمه من الامور التي انكرها عليه ، ونقمها منه ، ومراسلته لبغدوين يلتمس منه المصافاة والمعونة بالرجال والغلال ، وإن نهمه امر ، وحزبه خطب ، سلم اليه عسقلان فطلب منه العروض عنها ، فلما عرف الافضل ذلك اشفق من تمام هذا الامر ، فكاتبه بما يطيب نفسه ، وغالطه واقطعه عسقلان واقر اقطاعه بمصر عليه ، وازال

الاعتراض اشيء من ماله في نيار مصر من خيل وتجارة
واثاث ، وخاف شمس الخلافة من اهل البلد ، فاستدعى جماعة من
الارمن فاثبتهم في عسقلان ، ولم يزل على هذه الحال الى اخر سنة
اربع وخمسمائة ، فانكر امره اهل البلد ، ووثب عليه قوم من كتامة
وهو راكب فجرحوه ، وانهزم الى داره فتبعوه واجهزوا عليه ،
ونهبوا داره وماله ، وتخطفوا بعض دور (١٩٤) الشهود
والعامة ، وانتهى الخبر الى صاحب الستارة فيبادر الى
البلد ، فاطاع امره من به ، وانفذوا رأسه الى الافضل الى
مصر ، وانهوا جلوية حاله ، فحسن مسووضع ذلك منه
وموقعه ، واحسن الى الواردين بهذه البشرى ، ثم تقدم بمطالبة
القوم القاتلين بما نهبوه من داره ، واستولوا عليه من ماله ، ومال
اهل البلد ، واعتقالهم ، وقبض جماعة من اهل البلد ، وحملهم الى
مصر ، ولما وصلوا اعتقلوا فيها

وفيها وصل السلطان غياث الدين محمد بن ملك شاه من همذان
الى بغداد ، في جمادى الاولى منها ، ووردت الكتب والرسل اليه من
الشام بانهاء الحال ، وما جرى من الافرنج بعد عودهم عن الفرات ،
وذوية صيدا والاثارب واعمال حلب .

ولما كان اول جمعة من شعبان حضر رجل من الاشراف
الهاشميين من اهل حلب ، وجماعة من الصوفية والتجار والفقهاء
الى جامع السلطان ببغداد ، فاستغاثوا وانزلوا الخطيب عن المنبر ،
وكسروه ، وصاحوا وبكوا لما لحق الاسلام من الافرنج ، وقتل
الرجال وسبي النساء والاطفال ، ومنعوا الناس من الصلاة ،
والخدم والمقدمون يعدونهم عن السلطان بما يسكنهم من انفاذ
العساكر ، والانتصار للاسلام من الافرنج والكفار ، وعادوا في
الجمعة الثانية المصير الى جامع الخليفة ، وفعلوا مثل ذلك من كثرة
البكاء والضجيج والاستغاثة والنحيب

وفي جمادى الآخرة منها ، وصل رسول مملك الروم بهدايا وتحف ومراسلات ، مضمونها البعث على قصد الافرنج ، والايقاع بهم والاجتماع على طردهم من هذه الأعمال ، وترك التراخي في أمرهم ، واستعمال الجد والاجتهاد في الفتك بهم قبل افعال خطبهم واستفحال شهرهم ، ويقول أنه قد منعهم من العبور الى بلاد المسلمين ، وحاربهم ، فان طمعوا فيها ، بحيث تتواصل عساكرهم وأمدادهم الى البلاد الاسلامية احتاح الى مداراتهم وإطلاق عبورهم ومساعدتهم على مقاصدهم وأغراضهم ، للضرورات القائنة الى ذلك ، ويبالغ في الحث والتحريض على الاجماع على حربهم ، وقلعهم من هذه الليار بالاتفاق عليهم .

وفي هذه السنة نقض الملك بغدوين صاحب بيت المقدس الهندنة المستقرة بين أتاك وبينه ، وكتب الى ابن صنجيل صاحب طرابلس يلتبس منه الوصول اليه في عسكره ، ليجتمع معه في طبرية ، وجمع وحشد ، ورحل الى ناحية بيت المقدس لتقرير امر كان في نفسه ، فحدث له في طريقه مرض أقام به أياما ، ثم أبطل منه وأفاق ، وقصد في حشده ناحية البثنية من حوران ، وقد أطرح كل من في الشام ، ولم يبق في عينه منهم أمر يحفل به من جهتهم ، فنهض ظهير الدين أتاك عند معرفته قصده في عسكره ، ونزل في المنزل المعروف برأس الماء (٤٩) ، ثم رحل عنه الى اللجاة ، ونهض الافرنج في اثره الى الصنمين (٥٠) ، ففرق أتاك العسكر عليهم من عدة جهات ، وبث في المعابر والمسالك خيلا تمنع من حمل الميرة اليهم ، وضايقتهم مضايقة ألجأتهم الى الدخول في حكم المسالبة والموادعة ، وتبردت المراسلات في ذلك (٩٥ ظ) الى أن استقرت الحال بينهما على أن يكون لبغدوين النصف من ارتفاع جبل عوف والساواد والحيائنة مضافا الى ما في يده ، ومن هذه الأعمال التي يليها في أيدي العرب من آل جراح ، وكتب بينهما هذا الشرط ، ورحل كل منهما منكفئا الى عمله في آخر نبي الحجة منها .

وقد كان الامر تقرر مع السلطان غياث الدنيا والدين على انهاض
العساكر عقيب تلك الاستغاثة المقدم شرحها ببغداد ، والتقدم الى
الامراء بالتأهب للمسير الى الجهاد ، فتأهبوا لذلك ، وكان اول
من نهض منهم الى أعمال الأفرنج الامير الاسفهلار شرف الدين
مودود ، صاحب الموصل ، في عسكر الى شبختان (٥١) فافتتح
تل قراد (٥٢) وعة حصون هناك بالسيف والامان ووصل اليه
الامير احمديل (٥٣) في عسكر سكرمان القطبي من بلاد ارمينية
وبيار بكر ، فاجتمعوا في ارض حران ، وكتب اليهم سلطان بن علي
ابن منقذ صاحب شيزر يعلمهم نزول طنكري صاحب انطاكية ارض
شيزر ، وشروعه في بناء تل ابن معشر في مقابلة شيزر ، وحمل
الغلال اليه ، ويستصرخهم ويبعثهم على الوصول الى جهته ، فعين
عرفوا ذاك رحلوا الى الشام ، وقطعوا الفرات في النصف من الحرم
واقاموا عليه منتظرين وصول الامير برسق بن برسق صاحب
همدان ، وكان قد امر من السلطان بالتقدم عليهم ، فوصل اليهم في
بعض عسكره ، وبه مرض من علة النقرس ، وسكرمان القطبي ايضا
مريض ، والاراء بينهما مختلفة ، وقاتل المطوعة والسوقة هذا
الحصن ونقبوه ، فأنفذ جوسلين صاحب تل باشر الى الامير
احمديل الكردي يلاطفه بمال وهدية ، ويبذل له الكون معه ، والميل
اليه ، وكان أكثر العسكر مع احمديل ، وسأله الرحيل عن الحصن
وينزل اليه ، فأجابته الى ذلك ، على كراهية من بساقي
الامراء ، واشتد مرض سكرمان القطبي ، وعزم احمديل على العود
طمعا منه في ان السلطان يقطعه بلاد سكرمان ، وكان قد عقد بينهما
وصلة وصهر ، فعادوا عن تل باشر الى حلب ، ونزلوا
عليها ، وعاثوا في أعمالها وفعلوا آقبح من فعل الافرنج في
الفساد ، وتوقعوا خروج (٩٦ و) الملك فخر الملوك رضوان
صاحب حلب اليهم ، او خدمة ينفذها لهم ، فلم يلتفت الى احد
منهم ، وأغلق ابواب حلب ، وأخذ رهائن أهلها الى القلعة ، ورتب
الجند وأحداث الباطنية والطائعين لحفظ الاسوار ، ومنع الحلبيين
من الصعود الى السور ، وأطلق الحرامية في أخذ من يظفرون به من
أطراف العسكر (٥٤)

وقد كان ظهير الدين أتابك عند اجتماع هؤلاء
الامراء ، وهبورههم الفرات قد كاتبوه بالوصول اليهم ، ورد التدبير
فيما يعتمدونه عليه اليه ، ووصل اليه كتاب السلطان بمثل هذه
الحال ، فاقتضت الصورة ، وصائب الرأي أن ينهض في العسكر
نحوهم للاعتضاد على الجهاد ، وتقوية النفوس على حماية هذه
البلاد من أهل الشرك والالحاد ، وجمع من أمكنه من رجال حمص
وحماة ورفنية وسائر المعامل الشامية ، وسار اليهم ووصلهم على
ظاهر حلب ، فتلقوه بالاكرام والمزيد في الاحترام ، وقويت بـوصوله
النفوس ، واشتدت الظهور ، وسروا بحصوله عندهم سرورا ، ظهر
منهم وشجاع ، فلم ير منهم عزيمة صادقة في جهاد ، ولاحمائية
بلاد .

وأما سكرمان القطبي فان المرض اشتد به ، واشفى منه ففصل
عنهم وعاد الى بلده (٥٥) ، وورد الخبر بوفاته في طريقه قبل
وصوله (٥٦) الفرات وأما برسق فانه كان يحمل في المحفة
ولايتمكن من فعل ولاقول ، أما أحمدليل فان عزمه قوي على العود
بسبب بلاد سكرمان وطمعه في اقتطاعها من السلطان فاستجرهم
ظهير الدين أتابك الى الشام ، فرحلوا في آخر صفر ونزلوا معرة
النعمان ، فأقاموا على ذلك المنهاج الاول ، وامتار العسكر من
عملها ماكفاهم ، وقصروا عن جملة العلوفات والاقوات ، وظهر
لظهير الدين من سوء نية المقدمين فيه ما أوحشه منهم ، ونفر قلبه
من المقام بينهم ، وذكر له أن الملك فخر الملوك رضوان راسل بعض
الامراء في العمل عليه ، والايقاع به ، فاتفق مع الأمير شرف الدين
مودود ، وتأكدت المصافاة والمعاهدة بينهما ، وحمل الى بقية
الامراء ماكان صحبه من الهدايا لهم والتحف ، والحصن العربية
السبق ، والاعلاق المصرية (٩٦ ظ) وقوبل ذلك منه بالاستكثار
له والاستطراف والشكر والاعتراف ، ووفى له مودود بما
بذله ، وثبت على المودة ، وجعل أتابك يحرضهم على قصد
طراباس ، ويحتمل ما يحتاجون اليه من المير من دمشق

وعملها ، وان أدركهم الشتاء أنزلهم في بلاده ، فلم يفعلوا وتفرقوا أيدي سبأ ، وعاد برسق بن برسق وأحمديل ، وتبعوا عسكر سكرمان القطبي ، وتخاف منهم الأمير مودود مع أتابك ، فرحلا عن المعرة ونزلا على العاصي .

ولما عرف الأفرنج رحيل العساكر ، وتفرقهم اجتمعوا ، ونزلوا أفامية بأسرهم : بغدوين وطذكري ، وابن صنجيل ، بعد التباين والمنافرة والخاف ، وصاروا يدا واحدة وكلمة متفقة على الاسلام وأهله ، وساروا لقصدهم ، فخرج سلطان بن منقذ من شيزر بنفسه وجماعته ، واجتمع مع أتابك ومودود ، وحرضهما على الجهاد ، وهون عليهما أمر الأفرنج ، فرحلوا وقطعوا العاصي ، ونزلوا في قبلي شيزر ، وصار سوق العسكر في سوق شيزر ، ونزل عسكر مودود حول شيزر ، وبالغ ابن منقذ وجماعته في الخدمة والمواصلة بالميرة ، وأصعد أتابك ومودود وخواصهما الى حصن شيزر ، وباشر خدمتهما بنفسه وأسرته ، ونزل الأفرنج شمالي تل ابن معشر ودبر أمر العسكر أحسن تديير ، وبث الخيل من جميع جهاتهم تطوف حولهم ، وتمنع من الوصول اليهم ، وضيقوا عليهم وحلاوهم عن (٥٧) الماء وذادوهم عن العاصي لكثرة الرماة على شطوطه وجوانبه من قبليه ، فما يذو منه من الأفرنج شخص الا وقد قتل ، وطمع الأتراك فيهم وسهل أمرهم عليهم ، وكانت خيل المسلمين مثل خيل الأفرنج الا أن راجلهم أكثر ، وزحف الأتراك اليهم فنزلوا للحرب عن تل كانوا عليه ، فهجمت الأتراك عليهم من غربيهم ونهبوا جانباً من عسكرهم ، وملكوا عدة من خيامهم وأثقالهم ، وجالوا حولهم ، فعادوا الى مكانهم الذي كانوا به ، ورجعوا منه ، وذلك في شهر ربيع الأول ، ولايصل اليهم شخص ، وعاد المسلمون لصلاة الجمعة في جامع شيزر ، فرحل الأفرنج الى أفامية ولم ينزلوا فيها ، بل تعبدوها ، وتبعهم المسلمون عند معرفة (٩٧ و) رحيلهم ، وتخطفوا أطرافهم ، ومن ظفروا به

- ٥٠٦٧ -

سائرا على آثارهم ، وعادوا الى شـيـيزر ، ورحلوا الى
حماة ، واستبشر الناس بعود الافرنج على هذه الحال .

سنة خمس وخمسمائة

واستحكمت الموبة بين ظهير الدين أتابك ، وبين الامير مودود .
وفي هذه السنة جمع بغدوين الملك من أمـكنه جمعه من
الأفرنج ، وقصد ثغر صور ، فبادر عز الملك واليه وأهل البلد
بمراسلة ظهير الدين أتابك بدمشق يستصرخون به
ويستنجونه ، ويبذلون تسليماً البلد اليه ، ويسألونه المبادرة
والتعجيل باذفاذ عدة وافرة من الأتراك تصل اليهم سرعة لمعونتهم
وتقويتهم ، وان تأخرت المعونة عنهم قادتهم الضرورة الى تسليمه
الى الأفرنج ، ليأسهم من نصرة الأفضل صاحب أمر مصر ، فبادر
أتابك باذفاذ جماعة وافرة من الأتراك بالعدد الكاملة تزيد على
المائتين فرسانا ورماة أبطالا ، فوصلت اليهم ، واتت أهل صور
رجالة كثيرة من صور وجبل عاملة رغبوا في ذلك مع رجاله من
دمشق ، وصلوا اليهم ، وحصلوا عندهم ، وشرع أتابك في اذفانه
عدة أخرى ، فحين عرف بغدوين ما اتقرر بين أتابك وأهل
صور ، بادر النزول عليها فيمن جمعه وحشده في اليوم الخامس
وعشرين من جمادى الاول سنة خمس وخمسمائة ، وتقدم بقطع
الشجر والنخل ، وبنى بيوت الإقامة عليها ، وزحف اليها فقاتلها
عدة دفعات ، ويعود خاسرا لم يذل منها غرضا ، وقيل ان أهل صور
رشقوا في بعض أيام مقاتلتها في يوم واحد بعشرين ألف سهم .

وخرج ظهير الدين من دمشق حين عرف نزولهم على
صور ، وخيم ببانياس وبث سراياه ورجالة الحرامية في أعمال
الأفرنج ، وأطلق لهم النهب والقتل والسلب والاحراب والحرق طلبا
لازعاجهم وترحيلهم عنها ، فتدخل العدة الثانية الى صور ، فلم
يتمكن من الدخول ، ونهض ظهير الدين الى الحبيس (٥٨) الذي
في السواد وهو حصن منيع لا يرام ، فشدد القتال عليه ، وملكه

بالسيف قهرا ، وقتل من كان فيه قسرا ، وشرع الافرنج في عمل
برجي خشب للزحف بهما الى سور صور ، وزحف ظهير الدين
اليهم عدة دفعات ليشغلهم بحيث يخرج (٩٧ ظ) عسكر صور
فيحرق البرجين ، وعرف الافرنج قصده في ذلك ، وخذلوا عليهم من
جميع الجهات ، ورتبوا على الخندق الرجال بالسلاح
لحفظه ، وحفظ الأبراج ، ولم يحدفوا بما يفعل وما يجري على
اعمالهم من الغارات عليها ، والفتك بمن فيها ، وهجم الشتاء فلم
يضر بالافرنج لانهم كانوا نزولا في ارض رملة صلبة ، والاتراك
بالضد من ذلك كابدوا من مقامهم شدة عظيمة ، ومشقة مؤلمة ، الا
انهم لا يخلون من غارة وفائدة ، وقطع ميرة عن الافرنج
ومائة ، وأخذ ما يحمل اليهم .

وقطع الاتراك الجسر الذي كان يعبر عليه الى صيدا لتقطع المانة
ايضا عنهم فعدلوا عند ذلك الى استدعاء الميرة في البحر من جميع
الجهات ، ففطن ظهير الدين لذلك ، ونهض في فريق من العسكر الى
ناحية صيدا ، وغار على ظاهرها ، فقتل جماعة من
البحرية ، وأحرق تقيير عشرين مركبا على الشط ، وهو مع ذلك لا
يهمل اصدار الكتب الى اهل صور بتقوية قلوبهم ، وتحريضهم على
استعمال المصابرة للافرنج ، والجد في قتالهم .

وتم عمل البرجين وكباشهما التي تكون فيهما في تقشير خمسة
وسبعين يوما ، وشرع في تقسيمهما ، والزحف بهما في عاشر
شعبان ، وقربا من سور البلد ، واشتد القتال عليهما ، وكان طول
البرج الصغير منهما نيفا واربعين ذراعا ، والكبير يزيد على
الخمسين ذراعا .

ولما كان اول شهر رمضان خرج اهل صور من الأبراج بالنفط
والحطب والقطران وآلة الحرق ، فلم يتمكنوا من الوصول الى شيء
منهما ، فألقوا النار قريبا من البرج الصغير بحيث لم يتمكن

الإفرنج من دفعها فهبت ريح ، واقست النار على البرج الصغير ، فاحترق بعد المحاربة الشديدة عليه ، والمكافحة العظيمة عنه ونهب منه زريات كثيرة وطوارق وغير ذلك ، واتصلت النار بالبرج الكبير ، واتصل الخبر بالمسلمين بأن الإفرنج قد هجموا خربة البلد ، للاشتغال بحريق البرج ، فانشوا عن المقاتلة على الابراج ، وشد الإفرنج عليهم وكشفوهم عن البرج ، وأطفأوا ما علق به من النار ، ورتبوا عنة وافرة من أبطالهم لحفظ البرج والمنجنيقات من جميع الجهات (٩٨ و) ، وواظبوا الزحف اليها الى آخر شهر رمضان ، وقربوا البرج الى بعض أبراج البلد ، وطموا الثلاثة الخنادق التي امامه ، وعمد اهل البلد الى تعليق حائط البرج الذي بازاء برج الإفرنج ، واطلقوا النار فيه ، فاحترق التعليق ، وسقط وجه الحائط في وجه البرج فمنع من تقديمه الى السور والزحف به ، وصار الموضع الذي قصده قصيرا وابراج البلد تحكم عليه ، وبطل تقديمه من ذلك الوجه ، وكشف الإفرنج الردم وجروه الى برج آخر من أبراج البلد ، ودفعوه اليه ، وقربوه من سور البلد ، وصدموه بالكباش التي فيه السور ، فزعزعه ووقع منه شيء من الحجارة ، واشرف اهل البلد على الهلاك فعمد رجل من مقدمي البحرية عارف بالصندقة (٥٩) من اهل طرابلس له فهم ومعرفة بأحوال الحرب الى عمل كلاليب حديد لمسك الكبش ، اذا نطح به السور من رأسه ومن جانبه بحبال يجذبها الرجال حتى يكاد البرج الخشب يميل من شدة جذبهم بها ، فتارة تكسره الإفرنج خوفا على البرج ، وتارة يميل او يفسد ، وتارة ينكسر بصخرتين تلقيان عليه من البلد مشدودة احداهما الى الأخرى ، فعملوا عنة من الكباش ، وهي تكسر على هذه الصفة واحدا بعد واحد ، وكان طول كل واحد منها ستين ذراعا معلقا في البرج الخشب بحبال في رأس كل واحد من الكباش حديد يزيد وزنه على عشرين رطلا ، فلما طال تجديد الكباش ، وقربوا البرج من السور ، عمد هذا الرجل البحري المقدم ذكره الى خشبة طويلة جافية قوية اقامها في برج البلد الذي بازاء برج الإفرنج ، وفي

رأسها خشبة على شكل الصليب طولها اربعون ذراعا تدور على بكر بلولب كيف ما أراد متوليها ، على مثال ما يكون في الصواري البحرية ، وفي طرف الخشبة التي تدور سهم حديد ، وفي طرفها الآخر حبال مدارة بها على ما يريد متوليها ، وكان يرفع فيها جرار القذر والنجاسة ، ليشفغهم بطرح ذلك عليهم في البرج عن الكباش ، وضاق الامر بالناس ، وشفغهم ذلك عن امورهم واشغالهم ، وعمد البحري المذكور الى سلال العنب والقفاف ، فيجعل فيها الزيت والقير (٩٨ ظ) والسراقة (٦٠) والقفونية وقشر القصب ، ويطلق فيه النار ، فاذا علت بذلك وقع ذلك في الالة المذكورة حتى يوازي برج الافرنج ، فتقع النار في اعلى البرج ، فيبادروا باطفائها بالخل والماء ، فيبادر برفع اخرى ، ومع هذا يرمي ايضا بالزيت المغلي في قدور صغار على البرج ، فيعظم الوقيد ، فلما كثرت النار ، وحمل بعضها بعضا ، وقويت قهوت الرجلين المتولين لرأس البرج ، وقتل احدهما وانهزم الآخر ، ونزل منه فتمكنت النار من رأسه ، ونزلت الى الطبقة الثانية من رأسه ، ثم الى الوسطى ، وعملت في الخشب ، وقهوت من كان حوله في الطبقات ، وعجزوا عن اطفائها ، وهرب كل من فيه وحوله من الافرنج ، وخرج اهل صور اليه ، فنهبوا ما فيه ، وغنموا من السلاح والالات ، عند ما لا يحده وصف .

فبعد ذلك وقتل سبع يأس الافرنج منه ، وشرعوا في الرحيل عنه ، واحرقوا البيوت التي كانت قد عمروها في المنزل لسكناهم ، واحرقوا كثيرا من المراكب التي كانت لهم على الساحل ، لانهم كانوا اخذوا صواريخها وارجلها والاتها للأبراج ، وكانت عدتها تقدير مائتي مركب كبارا وصغارا ، منها تقدير ثلاثين مركبا حربية ، حملوا في بعضها ما خفف من اثقالهم ، ورحلوا اربعة اشهر ونصف شهر ، وقصدوا عكا وتفرقوا الى اعمالهم .

وخرج اهل صور وغنموا ماظفروا به منهم ، وعادت الاتراك

المنديون لاسعائهم الى دمشق ، وقد فقد منهم في الحرب نحو عشرين رجلا ، وكان لهم فيها الجراية والواجب في كل شهر ، ولم يتم على برج من ابراج الافرنج في القديم والحديث مثل ما تم على هذا البرج من احراقه من رأسه الى اسفله ، والذي اعان على هذا هو تساوي البرجين في الارتفاع ، ولو طال احدهما على الآخر لهلك اقصرهما ، وكان عدد المدفوعين من اهل صور اربعمائة نفس ، ومن الافرنج في الحرب ايضا على ما حكى الحاكي العارف بتقدير الفي نفس ، ولم يف اهل صور بما كانوا بذلوه لظهير الدين اتابك من تسليم البلد اليه ، ولم يظهر لهم في ذلك قولاً ، وقال : انما فعلت ما فعلت لله تعالى وللمسلمين ، ولا لرغبة (٩٩ و) في مال ولا مملكة ، فكثرت الدعاء له ، والشكر بحسن فعله ، ووعدهم انه متى بهمهم خطب مثل هذا سارع اليه ، وبالنخ في المعونة عليه ، وعاد الى دمشق بعد مكابدة المشقة في مقابلة الافرنج ، الى أن فرج الله عن اهل صور ، وشرع اهل صور في ترميم ما شعثه الافرنج من سورها ، واعادوا الخنادق الى حالها ، ورسومها بعد طمها ، وحصنوا البلد ، وتفرق من كان فيه من الرجالة .

وفي الثاني من شعبان ورد الخبر بهلاك بدران بن حسنجيل (٦١) ، صاحب طرابلس بعلة لحقته ، واقام ابنه في الامر من بعده ، وهو طفل صغير كفله اصحابه ، ودبروا امره مع طنكري صاحب انطاكية ، وجعلوه من خيله (٦٢) واقطعه انطربطوس وصافيتا ، ومرقية (٦٣) وحصن الأكراد .

وفيها وردت الاخبار بوصول الامير شرف الدين مودود صاحب الموصل في عسكره ، ونزوله على الرها ورعيه لزرعها في ذي القعدة منها واقام عليها الى المحرم سنة ست وخمسمائة ورحل عنها الى سروج ورعى زرعها ، وهو في غفلة غير متحفظ من عدو يطرق ومسلم يرهق ، ولم يشعر الا وجوسلين صاحب تل باشر في خيله من الافرنج ، ودواب العسكر منتشرة في المرعى ، هجم عليها من ناحية

سروج ، على حين غفلة من مودود واصحابه ، فقتلوا منهم
جماعة ، واستاقوا اكثر كراهم ، وقتل بعض المقدمين ، واستيقظ
من كان من المسلمين غافلا ، وتاهبوا للقائه ، فعاد الى حصن
سروج

سنة ست وخمسمائة

فيها اشتد خوف اهل صور من عود الافرنج الى منازلهم ، فأجمعوا امرهم مع عز الملك انوشتكين الافضلي الوالي بها ، على تسليمها الى ظهير الدين اتابك ، بحكم ما سبق من نصرتهم لهم في تلك الذوبة ، ومعاذته اياهم في تلك الشدة ، وندبوا رسولا وثقوا به وسكنوا اليه في الحديث مع ظهير الدين اتابك في هذا الباب ، ووصل الى بانياس وواليها الامير سيف الدولة مسعود ، فتحدث معه ، وسار الامير مسعود مع الرسول الى دمشق لتقرير الحال بمحضر منه ، فصادف ظهير الدين اتابك قد توجه الى ناحية حماة ، لتقرير الحال فيما بينه وبين فخر الملوك رضوان ، صاحب حلب ، فأشفق الامير مسعود ان يتأخر الأمر الى حين عود ظهير الدين من حماة ، فبادر بغدوين بالنزول على صور ، ودفوت الغرض المطلوب فيها ، فقرر مع ولده تاج الملوك بوري النائب عنه في دمشق ، المصير معه الى بانياس ، وانتهاز الفرصة في تسليم صور اليه ، فأجاب الى ذلك ، وتوجه معه الى بانياس ، وتم مسعود الى صور ، ومعه من يعتمد عليه من العسكر ، ولم ينتظر وصول اتابك ، ووصل اليها وحصل بها ، وانتهت الحال في ذلك الى اتابك ، فأنهض فرقة وافرة من الأتراك الى صور تقوية لها ، فوصلت اليها وحصلت بها ، واستقر امر الأتراك فيها ، وحمل اليهم من دمشق ما انفق فيهم ، وطيب نفوس اهل البلد واجروا على الرسم في اقامة الدعوة والسكة على ما كانت عليه لصاحب مصر ، ولم يغير لهم رسم .

وكتب ظهير الدين اتابك الى الافضل بمصر يعلمه : « إن بغدوين قد جمع وحشد للنزول على صور ، وإن اهلها استتجدوا بي عليه ، والتمسوا مني دفعه عنهم ، فبادرت بانهاض من اثنى

بشهامته لحمايتها ، والمراماة دونها اليه ، وحصلوا فيها ، ومتى وصل اليها من مصر من يتولى امرها ، ويذب عنها ، ويحميها بادرت بتسليمها اليه ، وخروج نوابي منها ، وأنا أرجو أن لا يهمل أمرها ، وانفذ الاسطول بالغلة اليها ، والتقوية لها .

وحين عرف بغدوين هذا الخبر رحل في (١٠٠ و) الحال من بيت المقدس الى عكا ، فوجد الأمر قد فات ، وحصل بها الاتراك ، فأقام بعكا ووصل اليه من العرب الزريقيين من بلد عسقلان رجل يعلمه « ان القافلة الدمشقية قد رحلت من بصرى الى نيار مصر ، وفيها المال العظيم ، وأنا دليلك اليها ، وتطلق لي من أسر من أهلي » فنهض بغدوين من وقتته عن عكا في طلب القافلة ، واتفق ان بعض بني هوبر تخطف بعضها ، وخلصت منهم ، ووصلت الى حلة بني ربيعة فمسكوها اياما واطلقوها بعد ذلك ، وخرجت من نقب عازب (٦٤) وبينه وبين بيت المقدس مسافة يومين للفارس ، فلما حصلت بالوادي اشرفت الافرنج عليها ، فهرب من كان بها ، فالذي صعد منها الجبل سلم ، وأخذ ماله ، وأخذت العرب أكثر الناس ، فاشتمل الافرنج على ما فيها من الأمتعة والبضائع ، وتتبع العرب من أفلت منهم فأخذوه ، وحصل لبغدوين منها ما يزيد على خمسين ألف دينار وثلاثمائة أسير ، وعاد الى عكا ، ولم يبق بلد من البلاد الا وقد أصيب بعض تجاره في هذه القافلة .

وفي هذه السنة وصل ابن الملك تكش بن السلطان الب أرسلان أخي السلطان العادل ملك شاه ، الى حمص هاربا من ابن عمه السلطان غياث الدنيا والدين محمد ، ولم يمكنه المقام بحمص ولا حماة فتوجه الى حلب ، وكان فخر الملوك رضوان صاحب حلب في الدركاه السلطانية ، فأشفق من المقام بحلب ، فتوجه الى طنكري صاحب انطاكية فاستجاره فأجاره ، وأكرمه وأحسن اليه ، واجتمع اليه جماعة من الاتراك الذين مع طنكري ، فأقام

عنده ، وخرج طنكري من انطاكية في أول جمادى الآخرة الى ناحية كريسيل (٦٥) ، مقدم الأرمن وكان قد هلك طمعاً في تملك بلاده ، فعرض له مرض في طريقه أوجب عونه الى انطاكية ، فاشتد به المرض ، فهلك في يوم الأربعاء الثامن جمادى الآخرة وقام في الأمر بعده ابن أخيه سير رجال (٦٦) فتسلم انطاكية وأعمالها ، واستقام له (١٠٠ ظ) الأمر فيها ، بعد أن جرى بين الأفرنج خلف بسببه الى أن أصلح بينهم القسوس ، وطلب من الملك رضوان مقاطعة حلب المستقرة ، فأجابته الى ذلك ، ومبلغها عشرون ألف دينار ، والخيول ، وطلب مقاطعة شيزر ، فأجاب صاحبها اليها ، وهي عشرة آلاف دينار ، وتواترت غارات بغديين على عمل البثنية من أعمال دمشق ، وانقطعت الطريق ، وقلت الاقوات بها وغلا السعر فيها ، وتتابعت كتب ظهير الدين أتابك الى الامير شرف الدين مودود صاحب الموصل بشرح هذه الأحوال في هذه الأعمال ، وبعثه على الوصول اليه للاعتضاد على دفع المربة الأضداد ، والفوز بفضيلة الجهاد ، وكان مودود قد شنع عليه عند السلطان غياث الدنيا والدين ، بشناعات من الحال لفقها الحسنة الأعداء ، أوجبت استيحاظه منه وبعده عنه ، قيل في جملتها أنه عازم على الخلاف والعصيان ، وأن يده ويد أتابك قد صارت يدا واحدة ، وأراؤهما متوافقة ، وأهواؤهما متوافقة ، فلما عرف ذلك سير والده وزوجته الى باب السلطان بأصفهان للتوصل والاعتذار ، وابطال ما رقي اليه من المحال ، والتبريء مما افتري عليه وعزي اليه ، والاستعطاف له ، والاعلام بأنه جار على ما ألف منه على اخلاص الطاعة والعبودية والمناصحة في الخدمة ، والاهتمام بالجهاد .

ثم جمع عسكره من الأتراك والأكراد ومن أمكنه ، وتوجه الى الشام ، وقطع الفرات في نبي القعدة من السنة ، فحين اتصل خبره ببغديين الملك قلق لذلك ، وانزعج لخبره ، وكان جوسلين صاحب تل باشر قد اختلف هو وخاله بغديين الرويس ، صاحب الرها ، وصار

مع بغدوين صاحب بيت المقدس ، وأقطعه طبرية ، واتفقا على أن
راسل جوسلين لظهير الدين أتابك يبذل المصافاة والمودة ، ويرغبه في
الموادعة والمسالمة ، ويسلم اليه حصن تبنين المجاور لحصن هونين
(٦٧) وجبل عاملة ، ويتعرض عن ذلك بحصن الحبيس الذي في
السواد ، ونصف السواد ، ويضمن عن بغدوين الوفاء
بذلك ، والثبات على المودة ، والمصافاة وترك التعرض لشيء من
أعمال دمشق ، ولا يعرض هو لشيء من أعمال الأفرنج ، فلم يجب
الى ذلك ، ونهض من دمشق في العسكر للقاء الأمير
مودود ، والاجتماع به ، على الجهاد ، فاجتمعا بمرج
سلمية ، واتفق رأيهما على قصد بغدوين (١٠١ ز) وسارا وقد
استصحب أتابك جميع العسكر ، ومن كان بحمص وحماة
ورفنية ، ونزلا يوم عيد النحر بقدس (٦٨) ورحلا منها الى عين
الجر (٦٩) بالبقاع ثم منها الى وادي التيم ، ثم نزلا ، بانياس ،
ونهضت فرقة من العسكر فقصدت ناحية تبنين (٧٠) فلم يظفر
منها بمراد

ووصل اليها بغدوين وقد كان لما يؤس من اجابة اتابك الى
الموادعة ، واصل الغارات والفساد في الشام الى ان وصل عسكر
المسلمين الى عمله ، وبالف اتابك فيما حمله الى الأمير مودود
واعظامه واكرامه وماحمله اليه والى مقدمي عسكره ، وخواصه من
أنواع اللبوس والمأكول والمركوب ، ثم نهضوا معلمين على النزول
على الاقحوانة ، ووصل الى بغدوين سير رجال صاحب انطاكية
وصاحب طرابلس ، وأجمعوا رأيهم على النزول غربي جسر
الصنبرة (٧١) ثم يقطعون الى الاقحوانة للقاء المسلمين ، وقد
احتاطوا على اذقالمهم وراء الجسر ، والمسلمون لا يعلمون
بذلك ، وانهم عارضوهم في المسير الى هذا المنزل فسبق الأتراك الى
نزولهم في الاقحوانة وقطع بعض عسكر الأتراك الجسر لطلب
العلوفات والزرع ، فصادفوا الأفرنج قد ضربوا خيامهم وقد تقدم
بغدوين للسبق الى هذا المنزل ، ونزل صاحب انطاكية وصاحب
طرابلس وراعه يتبعونه اليه .

ونشبت الحرب بين المتعلقة وبين الأفرنج ، وصاح الصائح ، ونفر الناس ، وقطعوا الجسر ، وهم يظنون أنه جوسلين لأنه صاحب طبرية ، فوقف أتابك على الجسر ، وتسرع خلق كثير من العسكر الى قطع الجسر ، وقطع الامير تميرك بن ارسلانتاش في فريق وافر من العسكر ، ونشبت الحرب بين الفريقين من غير تأهب للقواء ، ولا ضرب خيام ولا أسس تقرار في منزل ، ولا مجال ، واختلط الفريقان ، فمنح الله الكريم ، وله الحمد ، المسلمين النصر على المشركين بعد ثلاث كرات ، فقتل فيها من الأفرنج تقدير ألفي رجل من الأعيان ، ووجوه الأبطال والشجعان ، وملكوها ما كان نصب من خيامهم ، والكنيسة المشهورة (٧٢) ، وأفلت بغدوين بعد ما قبض ، وأخذ سلاحه ، ومالكت دواب الرجالة ، وما كان لهم ، وغرق منهم خلق كثير في البحيرة (٧٣) ، واختلط الدم ، وامتنع الناس من الشرب منها ايما حتى صفت منه وراقت ، والتجأ من نجاة من الأفرنج (١٠١ ظ) الى طبرية ، وأكثرهم جرحى ، وذلك في يوم السبت الحادي عشر من المحرم سنة سبع وخمسمائة ، وبعد انفصال الأمر وصل باقي الأفرنج اصحاب طنكري وابن صنجيل ، فلاموه على التسرع وفندوا رأيه ، ونصبوا ما كان سالم من خيامهم على طبرية ، وفي غد يوم الواقعة نهض فريق من عسكر الأتراك الى ناحية طبرية ، واشرفوا على الأفرنج بناحية طبرية وعزموا على النزول اليهم والايقاع بهم ، فخافهم الأفرنج وأيقنوا بالهلاك وأقام الأتراك على الجبل عامة نهارهم ، وانكفأوا الى معسكرهم ، وطلع الأفرنج الى الجبل وتحصنوا به لصعوبة مرتقاه ، وهو من غربي طبرية ، والماء ممتنع على من يكون فيه ، فعزم المسلمون على الصعود اليه ومواقعتهم ، واستدعى أتابك العرب الطائيين والكلبيين (٧٤) والخفاجيين ، فوصلوا في خلق كثير بالزادات والروايا والابل لحمل الماء ، وصعدت الطلائع الى الجبل من شماله ، وعرفوا أن هذا الجبل لا يمكن الحرب فيه لصعوبته على الفارس والراجل ، وعلم المسلمون ان الظفر قد لاحت دلائله

وأماراته ، والعدو قد ذل وانخزل ، وفل وانخذل (٧٥) ، وسرايا الاسلام قد بلغت في النهيخ الى أرض بيت المقدس ويافا وأخربت أعمالهم ودوختها ، واستاقت عواملها ومواشيها ، وغنمت ماوجدته فيها فاذنتى الرأي عن الصعود ، ودامت الحال على هذه القضية الى آخر صفر .

وعقيب هذه النوبة ، وصل من حلب من عسكر الملك فخر الملوك رَضوان مائة فارس على سبيل المعونة ، خلاف ماكان قرره ، وبذله فأنكر ظهير الدين أتاك وشرف الدين مودود ذلك منه ، وأبطلا العمل بما كانا عزمنا عليه من الميل اليه ، واقامة الخطبة له ، وذلك في أول شهر ربيع الاول سنة سبع وخمسائة ، وسيرا رسولا الى السلطان غياث الدنيا والدين الى مدينة اصفهان ، بالبشارة بهذا الفتح ، ومعه جماعة من أسارى الافرنج ، ورؤوسهم وخيولهم وطوارقهم ، ومضاربهم ، وأنواع سلاحهم .

ثم ان العسكر رحل من المنزل الى وادي المقتول ونزل الافرنج عند ذلك عن الجبل الى منزلهم ، والتجأوا الى جبل في المنزل ، وتواصلت اليهم ميرهم وأزوانهم وامداهم من أعمالهم ، فعاد اليهم عسكر الأتراك من منزلهم جرائد في بضع عشر كردوسا ، ولزموا اياما يرومون ان يخرجوا اليهم ، فلم يظهرروا للصراب ، ولازم بعضهم (١٠٢ و) بعضا الفارس والراجل في مكان واحد ، لا يظهر منهم شخص ، وجعل الأتراك يحملون عليهم فيصيبون منهم بالندشاب مايقرب منهم ، ويمنعون الميرة والعلوفة عنهم وقد أحدقوا بهم كالنطاق أو هالة الآفاق ، فاشتد بهم فرحلوا عن منزلهم في ثلاثة ايام تقدير فرسخ عائنين ، فلما كان الليل

قصدا

الجبل الذي كانوا اولا عليه ملتجئين اليه ومحتمين به ، وواظب المسلمون قصدهم والتلف على مايفوت منهم ، ومن غنائمهم بالاستمرار على الاحجام عن ظهورهم ، على ان مقدمي العسكر

منعدهم من التسرع اليهم والاقدام في منزلهم عليهم ، ويعدونهم
بفرصة تنتهز فيهم ، فطال أمد المقام ، وضائق صدور اصحاب
مودود لبعدهم ، وتأخر عودتهم ، وتعذروا وطارهم ، فتفرق
أكثرهم وعادوا الى بلادهم ، فاستأنن آخرون في العود فأنن
لهم ، وعزم مودود على المقام بالشام ، والقرب من العدو ينتظر
ما يصله من الأمر السلطاني ، والجواب عما أنهاه وطالع
به ، فيعمل بحسبه ، ولم يبق في بلاد الأفرنج مسلم ، الا وأنفذ
يلتمس الأمان من أتاك ، وتقرير حاله ، ووصل اليه بعض ارتفاع
نابلس ، ونهبت بيسان ، ولم يبق بين عكا والقدس ضيعة
عامرة ، والأفرنج على حالهم في التضيق عليهم ، والحصار على
الجبل .

واقضى الرأي عود أتاك ومودود ، فعادا الى دمشق في الحادي
والعشرين من شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسمائة

سنة سبع وخمسمائة

.... وقد تقدم من ذكر ما كان من نوبة صور ، وانتقال ولايتها الى ظهير اتابك ، واستنابته مسعودا في حفظها وحمايتها ، وتدبير أمرها وانفاذ رسوله الى الأفضل بشرح حالها ، ولم يزل الرسول المسير الى مصر مقيما بها الى ذي الحجة من سنة ست وخمسمائة وظهر للأفضل صورة الحال فيها ، وولية الأمر بها ، وأعاد الرسول بالجواب الجميل ، وأن : « هذا أمر وقع منا أجمل موقع ، وأحسن موضع » ، واستصوب رأي ظهير الدين فيما اعتمده واحماد ما قصده ، وتقدم بتجهيز الاسطول اليها بالغلة والميرة ، ومال النفقة في الاجناد والعسكرية ، وما يباع على الرعية من الغلات ، ووصل الاسطول بذلك الى صور - ومقدمه شرف الدولة بدر بن ابي الطيب الدمشقي ، الوالي كان بطرابلس عند تملك الافرنج لها - في آخر صفر سنة سبع وخمسمائة ، بكل ما يحتاج اليه ، فرخصت الاسعار بها ، وحسنت حالها ، واستقام أمرها ، وزال طمع الافرنج فيها ، ووصل في جملة خلع فاخرة من طرف مصر ، برسم ظهير الدين وولده تاج الملوك بوري وخواصه ، ولسعود الوالي المستناب بها ، وأقام الاسطول عليها الى أن استقام الريح له ، فآلق عنها في العشر الأخير من شهر ربيع الأول منها .

وأرسل بغدوين الملك الى الأمير مسعود واليهما يلتمس منه التهادنة والموادعة والمسألة ، لتدسس أسباب الأنية عن الجانبين ، فأجابه الى ذلك ، وانعقد الأمر بينهما على السداد ، واستقامت الأحوال على المراد ، وأمنت السابلة للمتريدين والتجار والسفار الواردين من جميع (١٠٣) الأقطار ، وتوفي رحمه الله في عاشر شوال سنة سبع وخمسمائة وقد كان صاحب انطاكية لما فصل عن الملك بغدوين بعسكره عائدا الى انطاكية فسخ عنه ولد

الملك تكش بن السلطان ألب أرسلان ، وقصد صور ، وانفذ الى
ظهير الدين أتابك في الوصول الى دمشق ، فأجابه بالاعتذار الجميل
والاحتجاج المقبول ، ودفعه أحسن دفع ، فلما أيسه توجه الى
مصر ، ولقي من الأفضل ما أحب من الاكرام والمزيد من الاحترام
والانعام واطلاق ما يعود اليه بصالح الحال ، وتحقيق الآمال ...
ولما حصل (دقاق بن تاج الدولة) في دمشق اتصلت بينه وبين
بغدوين ملك الافرنج في ايقاع المهانة والموادعة والمسألة ، لتعمير
الأعمال بعد الاخراب ، وتأمين (١.٤ ظ) السواحل من شر
المفسدين والخراب ، فاستقرت
هذه الحال بينهما ، واستحلف كل منهما صاحبه على الثبات والوفاء
واخلاص الدوة والصفاء ، وامنت المسالك والاعمال ، وصلحت
الاحوال وتوفر الاستغلال .

سنة ثمان وخمسمائة

.... وفيها وردت الاخبار من ناحية الافرنج بهلاك ملكهم بغدوين بعله
هجمت عليه ، مع انتفاض جرح كان اصابه في الوقعة الكائنة بينه
وبين المصريين ، فهلك بها ، وقام مقامه من بعده من ارتضى
به (٧٧)

سنة تسع وخمسمائة

في هذه السنة قويت شوكة الافرنج في رمنية ، وبالغوا في تحصينها وشحنها بالرجال ، وشرعوا في الفساد والتناهي في العناد ، فصرف ظهير الدين همه الى الكشف عن احوالهم والبحث عن مقاصدهم في اعمالهم ، وترقب الفرصة فيهم ، ومعرفة الغرة منهم ، وتقدم الى وجوه العسكر ومقدميه بالتأهب والاستعداد ، لقصد بعض الجهات لاحراز فضيلة الجهاد ، والنهوض (١٠٥٥ و) لامر من المهمات ، ثم اسرى اليهم مغذا ، حتى ادركهم وهم في مجاثمهم غارون ، فلم يشعروا الا والبلاء قد احاط بهم من جميع جهاتهم ، فهجمت الاتراك عليهم البلد ، فملكوه وحصل كل من كان فيه في قبضة الاسر ، وربقة الذل والقهر ، فقتل من قتل ، واسر من اسر ، وغنم المسلمون سوادهم وكراعهم واثاثهم ما امتلأت به الايدي ، وسرت به النفوس ، وقويت بمثله القلوب ، وذلك في يوم الخميس لليلة خلت من جمادى الاخرة من السنة ، وانكفأ المسلمون الى دمشق ظافرين مسرورين غانمين لم يفقد منهم بشر ، ولا اعدم شخص ، ومعهم الاسرى ورؤوس القتلى ، فاطيف بهم في البلد بحيث تضاعف بمشاهدتهم السرور ، وانشرح الصدور ، وقويت من الجند في الجهاد والغزو الظهور ...

سنة عشر وخمسمائة

في هذه السنة ورد الخبر بان بدران بن صنجيل (٧٨) ، صاحب طرابلس ، قد جمع وحشد ، وبالع و اجتهد ، ونهض الى ناحية البقاع لاختراجه بالعيث والفساد والاضرار والعناد ، وكان الاصفهسلار سيف الدين البرسقي ، صاحب الموصل ، قد وصل الى دمشق في بعض عسكره ، لمعونة ظهير الدين اتابك على الافرنج ، والغزو فيهم ، وبالع اتابك في الاكرام له والتعظيم لمحله ، وصادف ورود هذا الخبر بنهضة الافرنج الى البقاع ، فاجتمع رأيهما على القصد لهما جميعا ، واغذا السير ليلا ونهارا ، بحيث هجموا عليهم ، وهم غارون ، في مخيمهم قارون ، لايشعرون فأرهبهم العسكر ، فلم يتمكنوا من ركوب خيلهم ، ولاأخذ سلاحهم ، فمنحهم الله النصر عليهم ، واطلقوا السيف فيهم قتلا واسرا ونهبا ، فأتوا على الراجل وهم خلق كثير ، قد جمعوا من اعمالهم ، واسروا وجوه فرسانهم ومقدميهم ، واعيان شجعانهم ، وقتلوا الباقين منهم ، ولم يفلت منهم غير مقدمهم بدران بن صنجيل والمقدم كند اصطبل ، ونفر يسير معهما ، ممن نجا به جوانه ، وحماه اجله ، واستولى الاتراك على العدد الجمة ، والخيول والكراع والسواد ، وذكر الحاكي المشاهد العارف ان المفقود والمقتول من الافرنج الخيالة والسر جندي (٧٩) الرجالة ، والنصارى الخيالة والرجالة في هذه الواقعة مايزيد على ثلاثة الاف نفس ...

سنة احدى عشرة وخمسمائة

... وفي النصف من المحرم منها هجمت الافرنج على ريبض حماة في ليلة خسوف القمر ، وقتلوا من اهلها تقدير مائة وعشرين رجلا .
وورد الخبر بهلاك دوقس انطاكية (٨٠) ...

وفيها وردت الاخبار من القسطنطينية بموت متملك الروم الكرانكس (٨١) وقام في الملك بعده ولده يوحنا ، واستقام له الامر ، وعمل بسيرة آبية ، وفيها وردت الاخبار بهلاك بغدوين ملك الافرنج صاحب بيت المقدس بعة طالت به وكانت سبب هلاكه في ذي الحجة منها ، وقام بعده في الامر كند هو (الذي كان) الملك (بالرها) (٨٢) .

سنة اثنتي عشرة وخمسمائة

في هذه السنة شاعت الاثار والابخار من ناحية الافرنج ، بطمعهم في المعازل والبلاد ، واجماعهم على قصدتها بالغيث والافساد ، لغفلة الاسلام عن قصدهم بالغزو والجهاد ، وانهم قد شرعوا في التآهب لهذه الحال ، والاستعداد وكاتب ظهير الدين اتابك ارباب الجهات والمناصب ، وبعثهم على التعاون على دفع شر الملاعين ، بالتوازن والتواظب .

وورد الخبر بتوجيه الامير نجم الدين ايل غازي الى دمشق ، في عسكره ، للاجتماع مع ظهير الدين اتابك على اعمال الراي في التدبير والتشاور في العمل والتقدير ، هذا بعد ان راسل طوائف التركمان بالاستدعاء لاداء فريضة الجهاد والتحريض على الباعث لذاك والاحتشاد .

ووصل الامير المذكور الى دمشق من حلب ، في بعض اصحابه وخواصه ، واجتمعا وتعاهدا وتعاقدا على بذل المكنة والاجتهاد في مجاهدة الكفرة الاضداد ، وطردهم عن الافساد في هذه المعازل والبلاد ، ووقع الاتفاق بينهما على (مصير) (٨٣) الامير (١١٠ و) نجم الدين ايل غازي بن ارتق الى ماردين لانجاز امره ، وجمع التركمان من الاعمال ، وحضهم على النكاية في احزاب الشرك والضلال ، واقتضت الاراء مصير الامير ظهير الدين معه لتأكيد الحال ، وتسهيل الامال ، وسارا في العشر الاول من شهر رمضان سنة اثنتي عشرة وخمسمائة ، وعاد ظهير الدين عنه بعد ان قررا مع طوائف التركمان اصلاح احوالهم والتآهب للوصول الى الشام بجموعهم الموفورة وعزائمهم المنصورة في صفر سنة ثلاث عشرة

- ٥٠٨٧ -

وخمسمائة ليوقع الاجتماع على نصرة الدين واصطلام المردة
الملحدين ، واقام ظهير الدين بدمشق الى حين قسرب الاجل
المضروب ، والوقت المرقوب ، وسار الى ناحية حلب في اول شهر
ربيع الاول سنة ثلاث وخمسمائة .

ودخلت سنة ثلاث عشرة وخمسمائة

ولما وصل ظهير الدين اتابك الى حلب للاجتماع مع نجم الدين على الامر المقرر بينهما ، بعد مضي الاجل المعين بتدبيرهما ، وجد التركمان قد اجتمعوا اليه من كل فج ، وكل صوب في الاعداد الدثيرة الوافرة ، والقوة الظاهرة ، كأنهم الاسود تطلب فرانسها ، والشواهين اذا حامت على مكاسرها ، ووردت الاخبار ببروز روجير صاحب انطاكية منها ، في من جمعه ، وحشده من طوائف الافرنج (١١٠ ظ) ورجالة الارمن من سائر اعمالهم واطرافهم ، بحيث يزيد عددهم على العشرين الف فارس وراجل ، سوى الاتباع ، وهم العدد الكثير ، في اتم عدة ، واكمل شكة ، وانهم قد نزلوا في الموضع المعروف بسرمداء وقيل دانيث البقل بين انطاكية وحلب ، فحين عرف المسلمون ذلك طاروا اليهم بأجنحة الصقور الى حماية الوكور ، فما كان بأسرع من وقوع العين على العين ، وتقارب الفريقين حتى حمل المسلمون عليهم ، واحاطوا بهم من جميع الجهات ، وسائر الجنبات ضربا بالسيوف ، ورشقا بالسهام ، ومنح الله تعالى ، وله الحمد ، حزب الاسلام النصر على المردة الطغام ، ولم تمض ساعة من نهار يوم السبت السابع من شهر ربيع الاول ، من سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ، الا والفرنجة على الارض سطحة واحدة ، فارسهم وراجلهم ، بخيلهم وسلاحهم ، بحيث لم يفلت منهم شخص يخبر خبرهم ، ووجد مقدمهم روجير (٨٤) صريعا بين القتلى ، ولقد حكى جماعة من المشاهدين لهذه الواقعة ، انهم طافوا في مكان هذه المعركة ، لينظروا اية الله تعالى الباهرة ، وانهم شاهدوا بعض الخيول مصرعة كالثقاف من كثرة الذناب الواقع فيها ، وكان هذا الفتح من احسن الفتوح ، والنصر المذوح ، لم يتفق مثله للاسلام ، في سالف الاعوام ، ولا الانف من الايام ، وبقيت انطاكية شاغرة خالية من حماتها ، ورجالها ، خاوية من كماتها ، وابطالها ، فريسة

الواثب ، نهزة الطالب ، فوقع التغافل عنها ، لغيبة ظهير الدين اتابك
عن هذه الوقعة ، لتسرع التركمان اليها . من غير تأهب لها ، للامر
النافذ ، والقدر النازل ، واشتغال الناس باحراز الغنائم ، التي
امتلات بها الايدي ، وقويت بها الذفوس ، وسرت بحسنها القلوب ،
فتلك بيوتهم خاوية ، والحمد لله رب العالمين

سنة أربع عشرة وخمسمائة

.. وفيها وردت الاخبار بوصول الكند (٨٥) هو ملك الافرنج ، في
المراكب البحرية ، وملك اكثر المعامل .

وفيها وقعت المهادنة بين نجم الدين ايل غازي بن ارتق صاحب
حلب ، وبين الافرنج ، وتقررت المودعة والمسألة ، وكف كل جهة
من الفريقين الانية عن الاخر

سنة ست عشرة وخمسمائة

... وقيل ان الامير نجم الدين بن ارتق خرج من حلب في عسكره ،
وقطع الفرات ، وصادف الافرنج ، فلم يلقوه فأتلف ماظفر به في
اعمالهم ، وعاد منكفئا الى الفنيدق ، بظاهر حلب .

وفي هذه السنة وصل الاسطول المصري الى صور ، وهو مشحن
بالرجال البحرية ، وطائفة من العساكر ، وفي نفس الوالي ، العمل
على الامير سيف الدولة مسعود ، الوالي بصور من قبل الامير ظهير
الدين اتابك ، فلما خرج للسلام على والي الاسطول ، سأله النزول
فلما حصل في مركب المقدم ، اعتقله وتمت عليه المكيدة ، وحصل البلد
في ايديهم ، ولما اقلع الاسطول ، ووصل الى مصر ، وفيه الامير
مسعود ، اكرم وانزل في دار ، واطلق له ما يحتاج اليه ، والسبب كان
في هذا التدبير ان شكواى اهل صور تتابعت (١١٢ ظ) الى الأمر
بأحكام الله ، فاقتضت الاراء التدبير عليه ، وازالة ماكان من المولايه
اليه ، وكانت عاقبة خروجه منها ، وسوء التدبير فيها ، خروجه
الى الافرنج ، وحصولها في ملكتهم .

وفي هذه السنة ورد الخبر ، بان الامير نور الدولة بك بن ارتق ،
نهض في عسكره في ايام من رجب ، وقصد الافرنج بالرها ، ووقع
بهم ، وكسرهم واسر مقدمهم جوسلين وابن خالته كليان (٨٦) ،
وجماعة من مقدميهم عند سروج

سنة سبع عشرة وخمسمائة

... وورد الخبر من ناحية حلب باستقرار المهانة بين الامير بدر الدولة (سليمان بن عبد الجبار) بن ارتق (٨٧) صاحب حلب ، وبين الافرنج على تسليم قلعة الاثارب الى الافرنج فتسلموها ، وحصلت في ايديهم ، واستمرت المودعة على هذا ، واستقامت احوال الاعمال من الجانبين ، وامنت السابلة للمتريدين فيها بين العاملين ، في صفر من السنة .

وفيها ورد الخبر بنهوض بغدوين ملك الافرنج في عسكره الى ناحية حلب ، الى الامير بك بن ارتق ، في تاسع صفر منها ، وهو منازل لحصن الكركر (٨٨) فنهض إليه والتقى بالقرب من قنطرة (سنجة) (٨٩) فكسره واسره ، وحصل في يده اسيرا (١١٤ ظ) مع جماعة من وجوه عسكره ، فاعتقله في جب في قلعة خرتبرت مع جوسلين ومقدمي الافرنج

وفيها ورد الخبر بان اسطول مصر لقي اسطول البنادقة في البحر ، فتحاربوا فظفر به اسطول البنادقة ، واخذ منه عدة (٩٠) قطع . وفي العشر الاول من شهر ربيع الاول منها ، ملك الامير بك بن ارتق ، حصن البارة واسر اسقفها .

وفي هذه السنة ورد الخبر من ناحية خرتبرت بأن الملك بغدوين الرويس وجوسلين مقدمي الافرنج ، وغيرهم من الاسرى الذين كانوا في اسر الامير بك ، المعتقلين في قلعة خرتبرت عملوا الحيلة فيما بينهم وملكوا القلعة .

- ٥٠٩٣ -

وهربوا (٩١) ٠٠٠٠ الملك بغدوين ونجا ولم يظفروا به وهرب
في ذلك اليوم أيضا أسقف البارة من اعتقاله .

وفي الشهر المذكور توجه الأمير نور الدولة بك في عسكره الى
خرتبرت ، وضايق قلعتها الى أن استعادها من الأفرنج الوائبين
عليها ، ورتب فيها من يحفظها ويتيقظ فيها ٠٠٠٠

سنة ثمانى عشرة وخمسمائة

٠٠٠٠ وفيها ملك الأفرنج ثغر صور بالأمان ، وشرح الحال في ذلك : كان قد مضى من ذكر الذي أوجب إخراج الأمير (١١٥ و) سيف الدولة مسعود واليهامنها ، وحمله في الأسطول الى مصر مالا يحتاج الى الاعادة له ، والاطمالة بذكره ، ولما حصل بها الوالى المندوب من مصر بعد مسعود ، طيب نفوس أهله ، وكاتب ظهير الدين بصورة الحال ، فأعاد الجواب بأن الأمر في ذلك لمن دبره ، والمرجوع الى مارتبه وقرره ، واتفق ان الأفرنج لما عرفوا هذا الأمر ، وانصراف مسعود عن ولاية صور ، تحرك طمعهم فيها ، وحدثوا نفوسهم بتملكها ، وشرعوا في الجمع والتأهب للنزول عليها ، والمضايقة لها ، واتصل بالوالى صورة الأمر ، وأنه لاطماعة له بالأفرنج ، ولا ثبات على محاصرتهم ، لقلّة من بها من الجند والميرة ، فطالع الأمر بأحكام الله صاحب مصر بذلك ، فاقضى الرأى أن ترد ولاية صور الى ظهير الدين أتاك ، ليتولى حمايتها والذب عنها والمراعاة دونها ، على ماجرى رسمه فيها ، وكتب منشور الولاية باسمه ، فندب لتوليها جماعة لاغناء لهم ، ولا كفاية فيهم ولا شهامة ، ففسد أمرها بذاك ، وتوجه طمع الأفرنج حولها لأجله ، وشرعوا في النزول والتأهب للمضايقة لها ، ونزلوا بظاهرها في شهر ربيع الأول من السنة ، وضايقوها بالقتال والحصار ، الى أن خفت الأقوات فيها ، وعدمت الميرة ، وتوجه ظهير الدين في العسكر الى بانياس للذب عن صور .

ونفذت المكاتبات الى مصر باستدعاء المعونة لها ، وتمادت الايام بذلك الى أن ضعفت النفوس ، وأشرف أهلها على الهلاك ، وعرف أتاك جلية (الامر) (٩٢) وتعذر تلافيتها ووقع اليأس من

المعونة لها ، فراسل الأفرنج بالملاطفة والمداهنة ، والارهاب والارغاب الى أن تقرر الحال على تسليمها اليهم ، بحيث يؤمن كل من بها ، ويخرج من أراد الخروج من العسكرية والرعية ، بما يقدرون عليه من أحوالهم ، ويقيم من أراد الإقامة .

ووقف أتابك في عسكره بأزاء الأفرنج ، وفتح باب البلد ، وأنز الناس في الخروج ، فحمل كل منهم ماخف عليه ، وأطساق حملة ، وترك ماثقل عليه ، وهم يخرجون بين الصدفين ، وليس أحد من الأفرنج يعرض لأحد منهم ، بحيث خرج كافة العسكرية والرعية ، ولم يبق منهم الاضعيف (١١٥ ظ) لايطبق الخروج ، فوصل بعضهم الى دمشق ، وتفرقوا في البلاد ، وذلك في اليوم الثالث والعشرين من جمادى الأولى سنة ثمانى عشرة وخمسائة .

وفىها ورد الخبر باجتماع الأفرنج من أعمالهم ، ونزولهم على حلب ، وشروعهم في قتال من بها ، والمضايقة ، وتمادى الأمر في ذلك الى أن قلت الأوقات فىها ، وأشرف على الهلاك أهلها ، فلما ضاق بهم الأمر ، وعدم الصبر راسلوا الأمير سـيف الدولة (آق) سنقر البرسقى ، صاحب الموصل بشكوى أحوالهم ، وشرح ما نزل بهم ، والسؤال له فى انجسادهم على الأفرنج ، وانقاذهم من أيدي الكافرين ، فضساق لذلك صدره ، وتوزع سره ، وتأهب فى الحال للمصير اليهم ، وصرف الاهتمام الى الذب عنهم .

فلما وصل اليهم فى نبي الحجة من السنة ، وعرف الأفرنج خبره ، وحصوله قريبا منهم ، وما هو عليه من القوة وشدة الشوكة ، أجفلوا مولين ، ورحلوا منهزمين ، وتبعهم سرعان الخيول يتلقتون من يظفرون به فى أعناقهم ، ولم يلو منهم منهزم على متول ، الى أن حصلوا بأنطاكية ، وكانوا قد ابتدوا فى منزلهم

- ٥٠٩٦ -

مساكن وبيوتا تقيهم الحر والبرد ، وأصروا على المقام ، ولطف الله تعالى ، وله الحمد بأهل حلب ، وخلصهم من البلاء ، وانتاشهم من اللأواء ، وكسب أق سنقر البرسقي بهذا الفعل الجميل جـزيل الأجر والثناء ، وبخل حلب وأحسن السـيرة بحيث صـلحت أحوالها ، وعمرت أعمالها ، وأمنت سايلتها ، وتواصلت الرفق اليها ببضائعها وتجارتهـا

سنة تسع عشرة وخمسمائة

.... وفيها اتصلت الاخبار من ناحية بغداديين ملك الافرنج صاحب بيت المقدس ، بالاحتشاد والتأهب والاستعداد لقصد ناحية حوران من عمل دمشق ، للعث فيها والافساد ، وشرع في شنن الغارات على الجهات القريبة من دمشق ، والمضايقة لها ، وقسطع الطرقات على الواردين اليها ، فعند المعرفة بذاك والتحقق له ، شرع ظهير الدين أتابك في الاستعداد للقائه ، والاجتماع على جهانه ، وكاتب امراء التركمان ومقدميهم وأعيانهم ، بإعلامهم صورة الحال ، ويستجد بهم عليهم ، ويبذل لهم الاحسان والانعام ، وبرز في عسكره وتمدد ورد عليه خبر قربهم من طبرية ، فاصدين أعمال البلد من مخرج الصفير وشرخوب (٩٣) ، وخيم به ، وكاتب ولاة الاطراف بساكناته بالرجالة ، واتفق وصول التركمان في ألسي فارس أولى بسأس شديد ، ورغبة في الجهاد ، ومسابقة الى الكفاح والجلاد ، فاجتمع اليه خلق كثير ، وكان الافرنج حين عرفوا نزول أتابك والعسكر بمخرج الصفير ، رحلوا اليها ، وخيموا بإزائه ، ووقعت العين على العين ، وتطارت ملاحم الفريدين ، فلما كان يوم الاثنين السابع والعشرين من ذي الحجة من السنة اجتمع للقضاء المقضي ، والحكم اتناخذ من أحداث دمشق والشباب الاغوار ، ورجال الغسوة والمرج والاطراف ، وأحداث الباطنية المعروفين بالشهامة والبسالة من حمص وغيرها والعقبة وقصر حجاج والشاغور خلق كثير ، رجالة وخيالة بالسلاح التام ، والناهض مع المتطوعة والمتدينين ، وشرعوا بالمسير للحاق المصاف. قبل اللقاء ، وقد شاع الخبر بقوة عسكر الاسلام ، وكثرته واستظهاره على حرب الافرنج ، وشسنة شوكته ، ولم يشك أحد في هلاك الافرنج في هذا اليوم وبوارهم ، وكونهم طعمة للمسلمين متسهلة ، (١١٦ ظ) واتفق

ان فرقة وافرة من عسكر التركمان ، غارت على اطراف الافرنج ونالت منهم ، واستظهرت عليهم ، وخاف الافرنج ، وعلموا أنه لاطاقة لهم بهذا الجمع ، وايقنوا بالهلكة ، ورحلوا بأسرهم من منزلهم الذي كانوا فيه ، عائنين الى أعمالهم على غاية من الخوف والوجل ، ونهاية من الذل والوجل ، ونضبت فرقة التركمان في فريق منهم ، وهم راحلون ففتمت مسن انقاسهم ودوابهم غنيمية وافرة ، وظفرت بانكتيسة الشهورة التي لهم في مضيمبم ، وطمع العسكر عند ذلك فيهم وحملوا عليهم ، وهم مولون لايبزون على تابع ولايقفون على مقصر لاحق ، وقد شملهم الرعب وضايقتهم مضايقة الجاتهم الى رمي نفوسهم عليهم ، اما لهم واما عليهم ، فتجمعوا وعادوا على العسكر الاسلامي ، وحملوا عليه حملتهم المعروفة ، فكسروهم وهزموهم ، وقتلوا من أعقابهم من ثبطه الوجمل ، وضانة الأجل ، وتم العسكر في الهزيمة على حاله ، وعادوا على جميع الرجالة ، وهم العدد الكثير والجمل الغفير ، وأطلقوا السيف فيهم حتى أتوا عليهم ، وتتبعوا المنهزمين بالقتل حتى وصلوا الى عقبية سحورا (٩٤) وقربوا من البلد من شرقوب مسج بصد اندى والمسافة ، وصبر خيولهم .

ووصل ظهير الدين أتابك والعسكر الى دمشق اخر نهار هذا اليوم وبنوا الامسر بينهم على ميساكرتهم في شد للايقنماع بهم . فصادفوهم فد رحلوا عائنين الى عملهم ، خوفا مما عزم عليه من قصدهم ، وتتبعهم ، والله يحكم مايشاء

سنة عشرين وخمسمائة

وفيها قصدت الأفرنج ريفية ، وضايقوها ، واستعادوها من ملكة المسلمين .

سنة احدى وعشرين وخمسمائة

... وفي شعبان من هذه السنة قصد بغدادين ملك الأفرنج ، صاحب بيت المقدس في عسكره وادي موسى ، فنهب أهله وسباهم وشردهم بهم ، وعاد عنهم

سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة

.... وأما اسماعيل الناعي المقيم ببانياس ، ومن معه فانهم لما سمعوا ما حدث من هذه الكائنة (٩٥) سقط في ايديهم ، وانخذلوا وذلوا ، وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ، وتفرق شملهم في البلاد ، وعلم اسماعيل أن البلاء محيط به ان أقام ببانياس ، ولم يكن له صبر على الثبات ، فأنفذ الى الافرنج يبذل لهم تسليماً ببانياس اليهم ، ليأمن بهم ، فسلمها اليهم ، وحصل هو وجماعته في ايديهم ، فتسللوا من بانياس الى الأعمال الافرنجية على غاية من الذلة ، ونهاية من القلة ، وعرض لاسماعيل علة التريب ، فهلك بها ، وقبر في ببانياس في أوائل سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، فحلت منهم تلك الناحية ، وتظهرت من رجسهم

سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة

قد مضى ذكر ذوية الباطنية وغيرهم ، لما اقتضى سوق الكلام فيه في سنة اثنتين وثلاث ، ولما انتهى الى الأفرنج خبير الكائنة في الباطنية ، وانتقال بانياس عنهم ، اليهم ، أحدث ذلك لهم طمعا في دمشق وأعمالها ، وأكثروا الحديث في قصدها ، وبثوا رسالهم الى الأعمال في جمع الرجال والاحتشاد ، فاجتمع اليهم سائر من حوته بلادهم ، من : الرها ، وانطاكية ، وطرابلس ، والساحل ، ووصلهم في البحر ملك كند ، هو الذي (٩٦) قام مقام بغديون الهالك في الأفرنج ومعه خلق كثير ، فاجتمعوا ونزلوا على بانياس وخيموا عليها ، وشرعوا في تحصين المير والأزواد للاقامة ، وتواترت الحكايات عنهم ، ممن شاهدتهم وأحصى عددهم ، وأنهم يزيدون على ستين ألفا فارسا وراجلا ، وأكثرهم الرجال .

فلما عرف تاج الملوك ذلك من عزمهم ، تاهب لهذا الأمر وصرف همه الى الاستكثار من العدد والسلاح ، وآلة الحرب ، وما يحتاج اليه من الآلات التي يحتاج اليها لتذليل كل صعب ، وكاتب امراء التركمان على أيدي رسله المنذوبين اليهم بالاستتجاد والاستغاثة بهم ، وبذل من المال والفلال ما يبعثهم على المبادرة الى اجابة ندائه ، والسرعة الى دعائه ، ووصل اليه من طوائفهم المختلفة الأجناس ، كل ذي بسالة وشدة مراس ، راغبين في اداء فريضة الجهاد ، ومسارعين الى الكفرة الأضداد ، واطلق ما يحتاجون اليه لقوتهم ، وقضيم خيولهم .

ورحل الملاعين عن بانياس طالسبين دمشق ، على أناة وترتيب ، ونزلوا على جسر الخشب والميدان المعروف المجاور له في

.... (٩٧) من ذي القعدة سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ، وخبموا هناك وأصبح العسكر ، وخرج من دمشق وانضم اليه التركمان من منازلهم حول البلد ، والامير مري بن ربيعة في العرب الواصلين معه ، وتفرقوا كرايس في عدة جهات ، ووقفوا بازانهم لتخرج منهم فرقة فيسارعوا اليها ، ويذهبوا فيبادروا الي لقائهم ، فلم يخرج منهم فارس ، ولاظهر راجل ، بل ضموا اطرافهم ، ولزموا مخيمهم واقام الناس على هذه الصورة اياما (١٢٣ ظ) يتوقعون زحفهم الى البلد ، فلا يشاهد منهم الا تجمعهم واطرافتهم حول مخيمهم ، ويريق بيضهم وسلاحهم ، وكشف خبرهم وماكذي اوجب تاخرهم عن الزحف وتلومهم ، فقل انهم قد جردوا ابطال خيلهم وشجعان رجالهم للمصير مع البغال الى حوران ، لجمع المير والغلال ، التي يستعان بمتلها على الاقامة والنزال ، وانهم لأحرقة لهم ، ولاقوة بهم ، الى عوبة المذكورين .

فلما عرف تاج الملوك هذه الحال ، بادر لتجريد الابطال عن الاتراك الدمشقيين ، والتركمان الواصلين ، والعرب القادمين مع الامير مري ، وازف اليهم الامير سيف الدولة سوار في عسكر حماة ، وقرر معهم نهوضهم اخر يومهم ، والجد في السير عامة الليل ، ووصولهم عند الصباح الى ناحية براق (٩٨) ، لان تقدير وصول الملاعين عند عودهم من حوران الى ذلك المكان ، فسارعوا الى العمل بما مثل لهم ، واصبحوا في ذلك المكان ، وهم على غاية من الكثرة والمنعة ، ومعهم سواد عسكرهم بأسره ، في عدد لا يحصى كثرة ، فهجموا عليهم فلم يتكامل ركوبهم الا وقد قتل منهم جماعة بالذشاب ، وضربوا مصافا ، ووقفوا قطعة واحدة ، وحمل عليهم المسلمون ، فثبتوا ، ولم يزل عسكر الاسلام يكر عليهم ويفتك بهم ، الى أن فشلوا وانضدلوا ، وايقتوا باليوار ، وحلول الدمار ، وولى كليام ديور (٩٩) مقدمهم وشجاعهم في فريق من الخيالة منهزمين ، وحمل الاتراك والعرب حملة هائلة ، واحدقوا بهم ضربا بالسيوف ، وطعنا بالرماح ورشقا بالسهام ، فما كان الا

بعض النهار ، حتى صاروا على وجه الأرض مصرعين ، وبين
أرجل الخيل معفرين ، وغنموا منهم الغنيمة التي امتلات ايديهم
بها ، من : الكراع ، والسلاح ، والأسرى ، والغلمان ، وأنواع
البغال ، وهو شيء لا يحصر فيذكر ، ولا يحد فيعد ، ولم يسلم منهم
الى معسكرهم الا القليل من الخيالة ، الذين نجت بهم سوا بقهم
المضمرة ، وعاد الأتراك والعرب الى دمشق ظافرين غانمين
منصوريين مسرورين ، وآخر نهار ذلك اليوم المذكور ، فابتهج
الناس بهذا اليوم السعيد ، والنصر الحميد ، وقويت به
النفوس ، وانشرحت به الصدور ، وعزم العسكر على مباركتهم
بالزحف الى مخيمهم ، عند تكامل وصوله (١٢٤ و) وتسرع
اليهم جماعة من الخيل وافرة ، وهم ينظرون الى كثرة
النار ، وارتفاع الدخان ، وهم يظنون انهم مقيمون ، فلما دنوا من
المنزل صادفوهم ، وقد رحلوا آخر تلك الليلة ، عندما جاءهم
الخبر ، وقد أحرقوا أثقالهم والآتهم ، وعددهم وسلاحهم ، اذ لم
يبق لهم ظهر يحملون عليه ، عندما عرفوه من حقيقة الأمر ، الذي
لا يمكن معه المقام ، مع معرفتهم بكثرة عسكر الأتراك ، ولا طاقة لهم
به ، ولم يتمالكوا أن رحلوا لايلون على منقطع ، ولا يقفون على
مقصر ، وخرجوا الى منزلهم فغنموا منه الشيء الكثير من أثاثهم
وزادهم ، وصادفوا جماعة من الجرحى في الواقعة ، قد هلكوا من
وصولهم ، ودفنوا في أماكنهم ، وخیولهم مصرعة من الجراح
والكد ، ولحقوا آخرهم العسكر ، فقتلوا جماعة من
المنقطعين ، وأغذوا سيرهم في هزيمتهم خوفا من لحاق المسلمين
لهم ، وأمن الناس وخرجوا الى ضياعهم ، وانتشروا في أماكنهم
ومعايشهم ، وانفجرت عنهم الكربة ، وانكشفت الغمة ، وجاءهم
من لطف الله تعالى وجميل صنعه ما لم يكن في حساب ، ولا خطر في
بال ، فله الحمد والشكر على هذه النعمة السابغة ، والوهبة
الكاملة ، حمدا يستديم جزيل نعمه ، ويستمد المزيد من منائحه
وقسمه .

وعاد التركمان الى أماكنهم بالغنائم الوافرة ، والخلع

الفاخرة ، وتفرق بجمع الكفرة الى معانئهم ، على اقبح صفة من
المذلة ، وعدم الكراع ، ونهب الأثقال ، وفقد أسطال
الرجال ، وسكنت القلوب بعد الوجع ، وأمنت بعد الضروف
والوهل ، وايقنت النفوس بأن الكفرة لا يكاد يجتمع لهم بعد هذه
الكائنة شمل ، بعد فناء أبطالهم ، واجتياح رجالهم ، ونهب
أثقالهم

سنة ست وعشرين وخمسمائة .

في هذه السنة ، ورد الخبر من ناحية الأفرنج بهلاك بغدوين
الرويس ملك الأفرنج ، صاحب بيت المقدس بعكا ، في يوم الخميس
الخامس والعشرين من شهر رمضان منها ، وكان شيخا قد عركه
الزمان بحوادثه ، وعانى الشدائد من نوائبه وكوارثه ، ووقع في
أيدي المسلمين عدة دفعات أسيرا في محارباته ومصافاته ، وهو
يتخلص منهم ، بحيله المشهورة ، وخذعه المخبورة ، ولم يخلف
بعده فيهم صاحب رأي صائب ، ولاتدبير صالح ، وقام فيهم بعده
الملك القومص الجديد الكند انجور ، الواصل اليهم في البحر من
بلادهم ، فلم يتسد في رأيه ، ولا أصاب في تدبيره ، فاضطربوا
لفقه ، واختلفوا من بعده

سنة سبع وعشرين وخمسمائة

في المحرم منها وردت الاخبار من ناحية الافرنج بدوقوع الخلاف بينهم ، من غير عادة جارية لهم بذلك ، وذهبت الحاربة بينهم ، وقتل منهم جماعة .

وفيها صادف جماعة من التركمان صاحب زرينا (١٠٠) في خيلة ، فظفروا به وقتلوه ، ومن معه ، واشتملوا على خيولهم وكراعهم ، وقيل ان ابن الدانشمند (١٠١) ، ظهر بفريق وافر خرج من القسطنطينية ، فأوقع به ، وقتل من كان فيه من الروم وغيرهم .

وفي سابع عشر جمادى الآخرة غار الأمير سوار (١٠٢) ، من حلب في خيله على تل باشر ، فخرج من فيه من ابطال الافرنج إليه ، فقتل منهم تقدير الف فارس ، وراجل ، وحمل رؤوسهم إلى حلب .

ولما عاد شمس الملوك من ناحية بعلبك ، بعد المقرر بينه وبين اخيه صاحبها ، مما تقدم ذكره وشرحه ، انتهى إليه من ناحية الافرنج ما هم عليه من فساد النية والعزم على نقض الموادعة المستقرة ، وشكا إليه بعض التجار الدمشقيين ان صاحب بيروت ، قد اخذ منهم عدة احمال كتان ، قيمتها جملة وافرة من المال ، فكتب الى مقدم الافرنج في رد ذلك على اربابه واعادته على من هو اولى به ، وترددت المكاتبات في ذلك ، فلم تسفر عن نيل مراد ، ولا نيل طلاب ، فحملة الغيظ والحنق على مقابلة هذا الفعل بمثله ، واسر ذلك في نفسه ، ولم يبده لاحد من خاصته وذقات بطانته ، وصرف

همه وعزمه الى التاهب لمنازلة بانياس ، (١٣٠ و) وانتزاعها من أيدي الملاعين المتغلبين عليها ، ونهض إليها في أواخر المحرم من السنة ، ونزل عليها في يوم الأحد غرة صفر منها ، وزحف في عسكر إليها ، وفيه جماعة وافرة من الخيالة والرجالة ، فارتاعوا لما اتاهم فجأة ، ونزلوا وانخذلوا ، وقرب من سورهم بالدرق الجفتيات والخراسانيين والنقابين ، وترجل عن جواده ، وترجل الاتراك بأسرهم لترجله ، ورشقوا من على السور بالنشاب ، فاستتروا ولم يبق احد يظهر رأسه عليه لكثرة الرماة ، والزق الجفتيات إلى مكان من السور استترقه فذقبوه الى أن تمكنوا منه ، ثم هجموه ، وتكاثروا في البلد ، والتجا من كان فيه من الافرنج إلى القلعة والابراج ، وتحصنوا بها ومانعوا عن نفوسهم فيها ، وملك البلد ، وفتح بابه ، وقتل كل من صدوف فيه من الافرنج وأسر ، ولما رأى من بالقلعة والابراج من المنهزمين ما نزل بهم من تملك البلد ، والقصد لهم بالقتال ، ولا ناصر لهم ، ولا ممانع عنهم ، التمسوا الأمان ، فاجيبوا إليه ، ونزلوا ، فأسروا جميعا ، ونهب ما كان في البلد ، وقرر فيه من الرجال الاجلاد من يصفظه ، ويذب عنه ، ورحل عنه في العسكر ، ومعه الاسرى ، ورؤوس القتلى ، وحرم الوالي الذي كان به ، واولاده والععد الكثيرة ، ووصل الى دمشق في يوم الخميس لست ليال خلت من صفر من السنة ، وخرج الناس من البلد للقائه ، ومشاهدة الاسرى في الحبال ، والرؤوس في القصب ، وهم الشيء الكثير ، والجم الغفير ، فرأى الناس من ذلك ما أقر عيونهم ، وسر قلوبهم ، وشد متنهم ، وابتهجوا له ، وأكثروا من شكر الله تعالى على ما سناه من هذا النصر العزيز ، والفتح المبين ، وشاعت الاخبار بذلك في الافرنج ، فهالهم سماعه ، وارتاعوا لحدوث مثله ، وامتلات قلوبهم رعبا ووجلا ، وأكثروا التعجب من تسهل الأمر في بانياس مع حصانتها ، وكثرة الرجال فيها في أقرب مدة ، وأسهل مرام ، وأسفوا على ما قتل من الخيالة الفرسان والرجالة .

وفي نبي الحجة منها وردت الاخبار بوصول عسكر وافر من

التركمان إلى ناحية الشمال ، وأنهم غاروا على طرابلس ، وأعمالها من معاقل الأفرنج ، فظفروا بخلق كثير منهم قتلا واسرا ، وحصل لهم من الغنائم والدواب الشيء الكثير ، وان صاحب طرابلس بنص طلولا بن (١٠٣) بدران الصنجيلي خرج إليهم فيمن حشده من أعماله ، ولقي عسكر التركمان فكسروه ، وأظفروهم الله بحشده المفلول ، وجمعه المخذول ، وقتل أكثر رجاله وجل حماته وأبطاله ، وانهزم في نفر قليل من [أصحابه إلى] (١٠٤) الحصن المعروف ببعيرين (١٠٥) ، فالتجأوا إليه ، وتحصنوا به ، ونزل عسكر الأتراك عليه ، وأقاموا محاصرين له أياما كثيرة ، حتى نفذ ما فيه من القوت (١٣٢ و) والماء بحيث هلك منهم ، ومن خيلهم الأكثر ، فأعملوا الحيلة ، واستغنموا الغفلة ، وانتهزوا الفرصة ، وخرجوا في تقدير عشرين ، مع المقدم ، فنجوا ووصلوا إلى طرابلس ، وكاتب ملك بنص طلولا صاحبها ، ملك الأفرنج بعكا يستصرخ به وبمن في أعماله ، ويبعثهم على نصرته ، فاجتمع إليه من الأفرنج خلق كثير ، ونهضوا إلى التركمان لترحيلهم عن حصن بعيرين ، واستنقاذ من بقي فيه منهم ، فلما عرفوا عزمهم وقصدهم ، زحفوا إلى لقائهم فقتلوا منهم جمعا كثيرا ، وأشرف التركمان على الظفر بهم والذكاية فيهم ، لولا أنهم اندفعوا إلى ناحية رمنية ، فاتصل بهم رحيلهم عنها ، وعودهم على طريق الساحل ، فشق ذلك عليهم ، وأسفوا على ما فاتهم من غنائمهم ، وتفرقوا في أعمالهم .

وفي صفر من السنة نهض صاحب بيت المقدس ملك الأفرنج في خيله ، إلى أطراف أعمال حلب ، ووصل إلى موضع يعرف (١٠٦) بنواز ، فنهض إليه الأمير سوار النائب في حلب في عسكر حلب ، وما انضاف إليه من التركمان ، فالتقوا وتحاربوا أياما ، وتطاردوا إلى أن وصلوا إلى أرض قدسرين ، فحمل الأفرنج عليهم فكسروهم كسرة عظيمة ، قتلوا فيها من المسلمين تقدير مائة فارس ، فيهم جماعة من المقدمين المشهورين المذكورين (١٠٧) ، وقتل من الأفرنج أكثر من ذلك ، ووصل الفل إلى حلب ، وتم الأفرنج إلى

قنسرين ، ثم الى المقاومة (١٠٨) ثم الى انقرة الاحريين (١٠٩)
فعاود الأمير سوار النهوض اليهم من حلب في من بقى من العسكر
والاتراك فلقوا فريقا من الأفرنج فأوقعوا به وكسروه وقتلوا منه
تقدير مائة فارس فانكفت الأفرنج هزيمة نحو بلادهم وعاد المسلمون
برؤوس القتلى والقلائع إلى حلب فانجلت تلك الغمة بتسهل هذه
النعمة ، ووصل الملك الى انطاكية .

وانتهى الى (١٣٢ ظ) سوار خبير [غارة] (١١٠) خيل
الرهبان ، فنهض الأمير سوار وحسان البعلبكي ، فأوقعوا بهم
وقتلوهم عن آخرهم في بلد الشمال ، وأسروا من وقع في ايديهم
حيا ، وعادوا الى حلب ظافرين سالمين ، ومعهم الأسرى
والرؤوس .

سنة ثمان وعشرين وخمسمائة

...وفي ذي القعدة من السنة انتهت الأخبار الى شمس الملوك ، من ناحية الافرنج باعترامهم على نقض المستقر من الهندنة ، وقبيح الواعدة المستمرة ، وتأهبهم للجمع والاحتشاد ، وقصد الاعمال الدمشقية بالعيث والفساد ، فحين عرف شمس الملوك هذه الحال ، شرع في جمع الرجال ، واستدعى التركمان ممن جميع الاعمال ، واتصل به نهوض الافرنج الى ناحية حوران فبرز في (١٣٣ ظ) العسكر ، وتوجه اليهم ، وخيم بازائهم ، وشرعوا في إخراج أمهات الضياع الحورانية ، ووقع التطارد بين الفريقين ، وكان الافرنج في جمع كثيف من الخيل والرجل ، بحيث حصر وهم في منزلهم ، ولايخرج منهم فارس ولا راجل ، إلا رشقته السهام ، واختطفه الحمام ، وأقامت المناوشة بين الفريقين عدة ايام ، ثم أغلهم شمس الملوك ، ونهض في فريق وافر من العسكر ، وهم لايشعرون ، وقصد بلادهم : عكا والناصرية وما جاورها ، وطبرية وما والاها ، فظفر بما لا يحصى كثرة من المواشي والعوامل ، والذسوان والصبيان والرجال ، وقتل من صادفه وسبى من ظهر له ، واحرق ما وجدته ، وامتلأت أيدي التركمان من غنائمهم ، واتصل الخبر بالافرنج ، فانخذلوا ولاقوا وانزعجوا ، واجفلوا في الحال من منزلهم طالسبين اعمالهم ، وعرف شمس الملوك ذلك ، فانكفا إلى مخيمه على طريق الشعراء سالما في نفسه وجملته ، ظافرا غانما ووصل الافرنج الى أعمالهم ، فشاهدوا ما حل بها ونزل بأهلها من البلاء ، فساءهم ذلك وقت في اعضائهم وانفلت شكتهم ، وانقصت شوكتهم ، وتفرق شملهم ، ودلوا وطلبوا تقرير الصلح بينهم ، وعاد شمس الملوك الى دمشق مسرورا في آخر ذي الحجة من السنة

سنة ثلاثين وخمسمائة

...وفي يوم السبت الثالث عشر من شعبان سنة ثلاثين وخمسمائة وردت الأخبار من ناحية الشمال ، بنهوض الأمير مسعود سوار من حلب ، فيمن انضم إليه من التركمان الى الأعمال الافرنجية فاستولوا على أكثرها ، وامتلات ايديهم بما حازوه من غنائمها ، وتناصرت الأخبار بهذا الظفر من جميع الجهات ، والاستكثار لذلك ، والتعظيم له ، ولقد ورد كتاب من شيزر يتضمن البشرى بهذه النبوة ، وتصديقا لما وصف وذكر ، وهو :

إن المتجدد عننا بهذه الناحية ، ما يجب علينا من حيث الدين أن ننيعه ، ونبشر به كافة المسلمين ، فإن التركمان - كثرهم الله ، ونصرهم - اجتمعوا في ثلاثة آلاف فارس جريئة معدة ، ونهضوا الى بلاد اللاذقية وأعمالها بغتة بعد اليأس منهم ، وقلة الاحتراز من غارتهم ، وعادوا من هذه الغزاة الى شيزر يوم الاربعاء حادي عشر رجب ، ومعهم زيادة عن سبعة آلاف أسير ، ما بين رجل وامرأة وصبي وصبية ، ومائة الف رأس دواب ، ما بين بقر وغنم وحمير ، والذي حازوه واجتاحوه يزيد عن مائة قرية كبار وصغار ، وهم متواصلون ، بحيث قد امتلات الشام من الاسارى والدواب ، وهنئه نكبة ما مني الافرنج الشماليون بمثلها ، وبعد هذا ما يبيع منهم أسير إلا بثمنه ، ولا نقص السعر الا اول ، وهم سائرون بهم الى حلب ، وبيار بكر والجزيرة

سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة

في هذه السنة وردت الأخبار بظهور متملك الروم كيالاني (١١١) من القسطنطينية ، في ذي القعدة سنة ثلاثين وقيل ، بل اول المحرم سنة احدى وثلاثين وخمسمائة ووصل الى جزيرة انطاكية ، وأقام بها الى ان وصلت مراكبه البحرية بالاثقال والميرة والمال والعدد ، في عاشر نيسان ، ونزل على نيقية فملكها ، وقيل بل هانده عليها أهلها ، ووصل إلى الثغور ، وتسلم أذنه والمصيصة وغيرهما ، وحاصر عين زربة وملكها عنوة ، وقيل في التاريخ إن أمير المؤمنين المأمون بالله بن الرشيد بالله ، كان عمر عين زربة عند الاجتياز بها ، لما ورد الى هذه الجهات ، وانفق على عمارتها مائة وسبعين الف دينار ، مع جاه الخلافة والسلطنة والقدرة ، وكان يعمل فيها كل يوم أربعون ألف فاعل ، سوى البنائين والحدادين والنجارين ، وملك تل حمدون وحمل أهله الى جزيرة قبرص ، وكان صاحبه ابن هيثم (١١٢) الأرمني ، ثم عمر ميناء الاسكندرونة ، ثم خرج الى انطاكية ، ونزل عليها ، وضايق أهلها في سلخ ذي القعدة ، وجرى بينه وبين صاحبها ريمند بن بيدفين (١١٣) مصالحة ، ورحل عائداً إلى الدروب ، فافتتح ما بقي في يد ابن ليون الأرمني من الحصون ، وشتى بها .

وفي رجب من السنة نهض الأمير في فريق وافر من العسكر الدمشقي ، من التركمان ، الى ناحية طرابلس ، فظهر إليه قومصها في عسكر ، والتقيافكسره بزواج ، وقتل منهم جماعة وافرة ، وملك حصن وادي ابن الأحمر (١١٤) وغيره .

وفي رجب ايضاً نهض ابن صلاح والي حماه في رجاله الى (١٤٢) و حصن الخربة فملكه .

وفي شعبان منها ورد الخبر بأن عماد الدين أتابك بن أقر سنقر ، توجه في عسكره من ناحية الموصل ، وقطع الفرات في العشر الاول منه ، ووصل الى حمص ، وكان قد تقدمه إليها سلاح الدين (١١٥) في اوائل العسكر ، ونزلا عليها وضايقاها ، وفيها الأمير معين الدين اثر واليها ، فراسله في تسليمها ، فاحتج عليا بانها للامير شهاب الدين ، وأنه نائبه فيها ، فنصب الحرب عليها والمضايقة لها اياما ، ولم يحظ منها بطائل ، فرحل عنها في العشرين من شوال من السنة ونزل على الحصن المعروف ببعيرين لينتزعه من يدهي الافرنج ، فلما عرفوا ذلك تجمعوا ونزلوا قريبا لحمايته ومعونته من فيه منهم ، فحين عرف عماد الدين خبرها كمن لهم كميننا ، والتقى الجمعان ، فانهزم فريق من الاتراك بين ايدي الافرنج (١١٦) ، وقتلوا منهم جماعة وافرة عند عودهم إلى منزل مخيمهم ، وظهر عليهم عماد الدين في من كمن لهم من الكمناء ، واوقع بالرجالة ، وملك الاذقال والسواد ، وحين قربوا من الخيم وشاهدوا ما نزل عليهم ، وحل بهم انخذلوا وفشلوا ، وحمل عليهم عسكر عماد الدين ، فكسرهم ومحقهم قتلا وأسرا ، وحصل لهم من الغنائم الشيء الكثير من الكراع ، والسواد ، والاثاث وعاد عماد الدين إلى حصن بعيرين ، وقد انهزم اليه ملكهم كنداياجور (١١٧) ومن نجا معه من مقدمي الافرنج ، وهم على غاية من الضعف والخوف ، فنزل عليهم وحصرهم في الحصن المذكور ، ولم يزالوا على هذه الحال في المضايقة والمحاربة الى أن نفذ ما عندهم من القوت ، فاكلوا خيلهم ، وتجمع من بقي من الافرنج في بلادهم ومعاقلهم وانضموا الى ابن جوسلين ، وصاحب انطاكية واحتشدوا ، وساروا طالبين نصره المخذولين المحصورين في حصن بعيرين ، وتخلصهم مما هم فيه من الشنة والخوف والهلاك ، فحين قربوا من عسكر اتابك ، وصح الخبر عنده بذلك ، اقتضت الحال أن امنهم وعاهدتهم على ما اقترحه عليهم من طاعته ، وقرر عليهم خمسين الف دينار يحملونها إليه ، وأطلقهم وتسلم الحصن منهم ، وعاد من كان اجتمع لنصرتهم (١١٨)

وفي رجب من السنة نهض الأمير بزواج في العسكر من دمشق ، ومن حشده وجمعه من التركمان الى ناحية طرابلس في الرابع منه ، فظهر إليه صاحبها في خيله من الافرنج ، فكمن لها في عدة مواضع ، فلما حصلوا بالموضع المعروف بالكورة (١١٩) ظهرت عليهم الكمنا ، فهزموهم ، ووقع السيف في أكثرهم ، ولم يفلت منهم الا اليسير ، وهجم على الحصن الذي هناك فنهبه ، وقتل من فيه من المقدمين والاتباع ، وأسر من بذل في نفسه المال الكثير ، وحصل له ولعسكره القيمة الكثيرة

وفي ذي الحجة منها ، ورد الخبر بعود ممتلك الروم في عسكره عن انطاكية الى ناحية بعيرين (١٢٠) من عملها في الثاني والعشرين منه (١٤٣ ظ) وانفذ رسوله إلى عماد الدين اتابك ، وظفر الامير سوار النائب عنه في حلب بسرية وافرة العدد من عسكر الروم ، فقتل بعضا ، واسر بعضا ، ودخل بهم الى حلب وفيها شرع اهل حلب في تحصينها ، وحفر خنادقها ، والتحصن من الروم بها ، لقبهم منها

سنة إثنيتين وثلاثين وخمسمائة

... وورد الخبر بان صاحب انطاكية قبض على بطركها الافرنجي ، ونهب داره ، وذكر ان السبب في ذلك ان ملك الروم لما تقرر الصلح بينه وبين ريمند صاحب انطاكية ، شرط في جملة الشروط ان ينصب بانطاكية بطركا من قبل الروم على ما جرى بمثله الرسم قديما ، ثم انتقض هذا الرسم فيما بعد ، وخرج ريمند صاحب انطاكية الى متملك الروم وهو مخيم في (١٤٤ و) عسكره بمرج الديباج ، وقرر معه الهدنة والموادعة ، وعاد الى انطاكية

وفي هذه السنة نقض الافرنج الهدنة المستقرة بين عماد الدين اتابك وبينهم ، واظهروا الشقاق والعناد ، وشرعوا في العيث والفساد بعد اصطناعه لمقدميهم ، والكف عنهم ، حين اظهره الله عليهم ، وقبضوا بانطاكية وثلغور الساحل جماعة من تجار المسلمين واهل حلب والسفار ، تقدير خمسمائة رجل في جمادى الاخرة .

وشتى ملك الروم بالثلغور والدروب ، وخيم بمرج الديباج وفي هذا (١٤٤ ط) الشهر [شعبان] وردت الاخبار من ناحية الشمال ، بنزول ملك الروم في عسكره على شيزر ، محاصرا لها ، ومضايقا عليها ، ونصب عليها عدة من المناجيق ، واشتدت الحرب بينه وبين اهله ، وقتل فيها جماعة من المسلمين بحيث اشرفت على الهلاك ، مع مبالغة الامير عماد الدين اتابك في امدادها بالرجال والسلاح والالات الحرب ، وكونه يازاء الروم يجرول بخيله على اطرافهم ، ويفتك بمن يظفر به منهم ، ولم يزالوا على هذه القضية الى ان سئموا المقام عليها ، ويئسوا من بلوغ الغرض فيها ، ولطف الله تعالى باهل الشام ، وتداركهم برحمته ، وورد خبر رحيلهم عن شيزر الى انطاكية واستبشر الناس برحيلهم ، وعودهم خاسرين ،

غير ظافرين ، ومفلولين غير فالين ، فله تعالى الحمد على هذه
النعمة دائما ، والشكر متواصلا متتابعاً .

قد مضى من ذكر الروم فيما اعتمدوه في هذه الايام ، ما قد عرف ،
ونذكر بعد ذلك ، مبدا احوالهم وخروجهم وفعالهم ، وذلك انهم
ظهروا من ناحية البلاط في يوم الخميس الكبير من صومهم ، ونزلوا
غفلة على حصن بزاعة بالوادي في يوم الاحد عيدهم ، وغارت خيلهم
على اطراف حلب في تاسع عشر رجب من السنة ، واستامن منهم
الى حلب جماعة من كافر ترك (١٢١) ، وانذروا من بحلب بالروم ،
فحذروا وضموا اطرافهم وتحرزوا وتحفظوا لطفا من الله تعالى
ورحمة ، وبعد هذا التحرز والاحتياط ، اشتمل الروم في عادتهم على
جملة وافرة من اهل حلب وضواحيها ، وانفذ اهل حلب من اعيانهم
من مضى الى عماد الدين اتابك مستصرخا به وهو مخيم على
حمص ، فانهض اليهم من امكنة من الخيالة والرجالة والناشبة
والنبالة ، والعدد الوافرة ، وحصل الجميع [بحلب] (١٢٢) في
السابع وعشرين من رجب من السنة .

ووردت الاخبار بتملك (ملك) الروم المذكورين حصن بزاعة ، بعد
حصره ومضايقته ، ومحاربه بالمنجنيات في يوم السبت الخامس
والعشرين من رجب بالامان ، وغدر بأهله بعد تسلمه وايمانهم ،
وجمع من غدر بهم واحصاهم ، وقيل انهم كانوا خمسة الاف
وثمانمائة نفس ، وتنصر قاضي بزاعة وجماعة من اليهود
(١٤٥ و) وغيرهم ، وتقدير اربعمائة نفس ، واقام الملك بعد ذلك
بمكانه عشرة ايام ، يدخن على مغارات اخدفي فيها جماعة ، فملكوا
بالنخان .

وفي يوم الاربعاء الخامس من شعبان نزل الروم ارض الناعورة ،
ورحلوا عنها في يوم الخميس ثامنه ، واجتازوا بحلب ، ومعهم
عسكر انطاكية ومقدمهم ريمند صاحبها ، وابن جوسلين ، فنزلوا

حلب ، ونصبوا خيامهم على نهر قويق وارض السعدي ،
يزحف الملك من غده في خيله ورجله من قبلي حلب وغربها من ناحية
قرنة برج الغنم ، وخرج اليهم فرقة واحدة من احداهن حلب ،
فقاتلتهم وظهرت عليهم ، فقتلوا وجرحوا ، واصيب من الروم مقدم
مذكور ، وانكفوا خائبين الى مخيمهم ، واقاموا على حلب اياما
قلائل ، ورحلوا عنها غداة يوم الاربعاء ثامن شعبان مقتبلين الى
ارض صلح ، وخاف من بقعة الاثارب ، فهربوا منها يوم الخميس
تاسع شعبان ، وطرحوا النار في خزائنها ، وعرف الروم ذلك ،
فنهضت منهم طائفة الى القلعة ، ونزلت عليها وملكتها ، وهازوا
ما فيها ، والجاوا السبايا والاسرى الذين في ايديهم من حصن بزاعة
الى ربض الاثارب وخندقها ، فعين عرف سوار النائب بحلب ذاك ،
وانعزال الروم عنها ، نهض في عسكر حلب وادركهم بالاثارب ،
فاوقع بهم وقهرهم ، واستخلص المأسورين والمسبيين الا اليسير
منهم ، وذلك في يوم السبت الحادي عشر من شعبان ، وسراهل
حلب بهذه الذوبة سرورا عظيما .

وفي يوم الخميس التاسع من الشهر ، رحل عماد الدين اتابك عن
حماة الى سلمية ، وسير ثقله الى الرقة ، وبقي في خيله جريدة مخفا

وفي يوم الاثنين رحل ملك الروم عن بلد المعرة ، فهرب من كان مقيما
في كفر طاب من الجند ، خوفا على نفوسهم ، وتناصرت الاخبار
بعبور عسكر التركمان الفرات مع ولد الامير داود بن ارتق الى
ناحية حلب ، للغزو في الروم ، ونزلوا بمجمع المروج ، ونهض فريق
وافر من عسكر دمشق للفرقة ايضا في خدمة عماد الدين اتابك وكان
سبب رحيل الروم عن شيزر ، ما انتهى اليهم من وصول
التركمان ، وتجمع العساكر حاشرين ، وكانت مدة اقامتهم عليها
ثلاثة وعشرين يوما ، ووصل ملك الروم الى انطاكية في عوده يوم
الاحد (١٤٥ ظ) الثامن من شهر رمضان من السنة ، وتواصلت
الاخبار باتمام الروم في رحيلهم الى بلادهم ، وسكنت القلوب بعد
انزعاجها وقلقها منهم ووجلها ...

سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة

وفي هذا الشهر (محرم) غارت الافرنج على ناحية بانياس
ونهب شهاب الدين في العسكر في اترهم فلم يدركهم وعاد الى البلد

سنة اربع وثلاثين وخمسمائة

... وزحف (عماد الدين اتابك) في عسكره الى البلد (دمشق)
طامعا في خلف يجري بين المقدمين فينال بعض طلباته ، فكان
الامر بالضد مما امل ، والحال بالعكس فيما ظن ، ولم يصادف من
اجناد دمشق واحدا لها الا الثبات على القراع ، والصبر على
الناوشة والمصاع (١٢٣) ، فعاد مذكفنا الى عسكره ، وقد ضعفت
نفسه ، وضاق لهذا الامر صدره ، وكان تقرر الامر مع الافرنج على
الاتفاق والاعتضاد والمؤازرة والاسعاد والامتزاج في دفعه ،
والاختلاط في صده عن مرانه ومنعه ، ورقعت المعاهدة على ذلك
بالايمان المؤكدة ، والضمان للوفاء بما بذلوه ، والتمسوا على ذلك
مالا معيناً ، يحمل اليهم ليكون عوناً لهم على ما يحاولونه ، وقوة
ورهاناً تسكن بها نفوسهم وأجيبوا الى ذلك ، وحمل اليهم المال
والرهائن من اقارب المقدمين ، وشرعوا في التاهب
للانجاد ، والاستعداد للمؤازرة والاسعاد ، وكاتب بعضهم بالبعث
على الاجتماع من سائر المعازل والبلاد ، على ابعاد اتابك وصده عن
نيل الأرب من دمشق والمراد ، قبل استفحال أمره ، واعضال
خطبه ، وقوة شوكته ، واستظهاره على عصب الافرنج وقصد
بلادهم .

فحين تيقن صورة الحال في هذا العزم (١٤٨ ظ) وتجمعهم
لقصد مع عسكر دمشق ، رحل عن منزله بداريا في يوم الأحد
الخامس من شهر رمضان ، طالبا ناحية حوران ، للقاء الافرنج إن
قربوا منه ، وطلبهم ان بعدوا عنه ، وأقام على هذا الاعتزام مدة ثم
عاد الى ناحية غوطة دمشق ، ونزل بعذراء يوم الأربعاء لست بقين
من شوال ، فأحرق عنة ضياع من المرج والغوطة الى حرستا
التي ، ورحل يوم السبت تاليه متشاملا ، حين نزول الافرنج

بالميدان في جموعهم ، وكان الشرط مع الافرنج أن يكون في جملة
المبدول لهم انتزاع ثغر بانياس من يد ابراهيم بن
طرغت ، وتسليمها اليهم فاتفق ان ابراهيم بن طرغت واليه ، كان
قد نهض في اصحابه الى ناحية صور ، للاغارة عليها ، فصادفه
ريمند صاحب انطاكية في قصده واصلا الى اسعاد الافرنج على
انجاد اهل دمشق ، فالتقيا فكسره ، وقتل في الواقعة ومعه يسير من
اصحابه ، وعاد من يقسي منهم الى بانياس ، فتحصنوا
بها ، وجمعوا اليها رجال وادي التيم وغيرهم ، من امكن جمعه من
الرجال ، للذب عنها والمرامة دونها ، فنهض اليها الامير معين
الدين في عسكر دمشق ، ونزل عليها ، ومعه فريق وافر من عسكر
الافرنج عامة شوال .

ورد الخبر بأن الامير عماد الدين اتابك قد نزل على بعلبك ، وانفذ
يستدعي التركمان من مظانهم ، في شوال لقصد بانياس ، ودفع
المنازلين لها عنها ، ولم تزل الحالة جارية على هذه القضية الى اخر
ذي الحجة من السنة .

... ولم تزل بانياس على حالها في المضايقة والمحاورة ، الى ان
ذهبت منها الميرة ، وقتل قوت المقاتلة فسلمت (١٤٩ و) الى معين
الدين وعوض عنها الوالي الذي كان بها بما ارضاه من الاقطاع
والاحسان ، وسلمها الى الافرنج ، ووفى لهم بالشرط ، ورحل عنها
منكفئا الى دمشق ظافرا بأمله حامدا لعمله في اواخر شهر
شوال ...

سنة ست وثلاثين وخمسمائة

فيها ورد الخبر من ناحية الشمال باغارة الأمير لجة
التركي ، النازح عن دمشق الى خدمة الأمير عماد الدين
اتابك ، على بلد الأفرنج وظفره بخيلهم وفتكه بهم ، بحيث ذكر أن
عدة المقتولين منهم تقدير سبعمائة رجل ...

سنة سبع وثلاثين وخمسمائة

... وفيها ورد الخبر بظهور صاحب انطاكية الى ناحية
بزاعة ، وأن الأمير سوار ، النائب في حفظ حلب ثناه عنها وحال
بينه وبينها (١٢٤) .

وفيها وردت الاخبار بظهور متملك الروم الى الثغور دفعة ثانية بعد
أولى ، وبرز اليه صاحب انطاكية ، وخدمه وأصلح أمره
معه ، وطيب نفسه ، وعاد عنه الى انطاكية (١٢٥) .
وفي شهر رمضان منها ورد الخبر بموت متملك الروم

سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة

... وفيها ورد الخبر من ناحية الافرنج بهلاك ملكهم الكد أجور
(١٢٦) ملك بيت المقدس ، بعلقة عرضت له كان فيها اتلاف
نفسه ، واقيم ولده الصغير وامه مقامه في الملك ، ورضي الافرنج
بذلك ، واستقامت الحال عليه .

سنة تسع وثلاثين وخمسمائة

...وفي شهر ربيع الآخر ورد الخبر بخروج عسكر الى فرقة وافرة من الأفرنج ، وصلت الى ناحية بعلبك ، للعث فيها ، وشن الاغارات فالتقيا فأظفر الله المسلمين بهم ، وأظهروهم عليهم ، فقتلوا اكثرهم ، واستولوا على ما كان معهم ، وامتلات ايدي المسلمين بغنائمهم ، وعادوا الى بعلبك سالمين مسرورين غانمين ، وعاد الباقون من الأفرنج الى مكانهم مفلولين محزونين خاسرين .

وفي جمادى الاولى منها ، ورد الخبر من ناحية الشمال بأن عسكر حلب ظفر بفرقة كبيرة من التجار والأجناد ، وغيرهم ، خرجت من انطاكية تريد بلاد الأفرنج ، ومعها مال كثير ودواب ومتاع وأثاث ، فأوقعوا بها ، واشتملوا على ما كان فيها ، وقتلوا من كان معها من خيالة الأفرنج لحمائتها والذب عنها ، وعاد الى حلب بالمال والسبي والأسرى والدواب .

وفي هذه السنة وردت الاخبار من ناحية الشمال بأن الامير عماد الدين اتابك افتتح مدينة الرها بالسيف ، مع ما هي عليه من القوة والحصانة والامتناع على قاصديها ، والحماية على طالبيها من العساكر الجمدة ومنازليها . وإن السبب في ذلك أن الامير عماد الدين اتابك ، لم يزل لها طالبا وفي تملكها راغبا ، ولانتهاز الفرصة فيها مترقبا ، لا يبرح ذكرها جانلا في خلده وسره ، وأمرها مائلا في خاطره وقلبه ، الى ان عرف ان جوسلين صاحبها ، قد خرج منها في جل رجاله واعيان حمساته وابسطاله لامر

اقتضاه ، وسبب من الاسباب الى البعد عنها دعاه ، للأمر المقضي والقدر النازل ، فحين تحقق (٥١ ظ) ذاك بـ سـ ادر بقصدها ، وسارع الى النزول في العسكر الدثر عليها لمضايقتها ، والحصار لمن فيها ، وكاتب طوائف التركمان بالاستدعاء لهم للمعونة عليها ، والاسعـ اء واداء فريضة الجهاد ، فوصل اليه منهم الخلق الكثير ، والجـ المغير بحيث احاطوا بها من جميع الجهات ، وحالوا بينها وبين ما يصل اليها من المير والاقوات ، والطائر لا يكاد يقرب منها خوفا على نفسه من صوائب سهام منازلها ، ويقتل المضيقين عليها ، ونصب على اسوارها المناجيق ، ترمي عليها دائما ، والمحاربة لاهلها مصرا ومواظبا ، وشرع الخراسانيون والحلييون العارفون بمواضع الذقوب ، الماضون فيها ، فنقبوا في عدة مواضع عرفوا امرها ، وتيقنوا نفعها وضررها ، ولم يزالوا على هذه الحال في الايغال في النقب ، والتمادي في بطن الأرض الى ان وصلوا الى تحت اساس ابراج السور ، فعلقوه بالآخشاب المحكمة ، والآلات المنتخبة ، وفرغوا من ذلك ، ولم يبق غير اطلاق النار فيها ، فأستأذوا عماد الدين اتابك في ذلك ، فأن لهم بعد ان نخل في النقب ، وشاهد حاله ، واستعظم كونه وهاله ، فلما اطلقت النار في تعليق الذقوب تمكنت من اخشابها وأبادتها ، فوقع السور في الحال ، وهجم المسلمون البلد بعد ان قتل من الجهتين الخلق الكثير على الهدم ، وقتل من الأفرنج والأرمن وجرح ما اوجب هزيمتهم عنه ، وملاك البلد بالسيف في يوم السبت سادس وعشرين من جمادى الآخرة منها ، ضحوة النهار ، وشرع في النهب والقتل والأسر والسبي والسلب ، وامتلات الأيدي من المال والآثاث والدواب والغنائم والسبي ، ما سرت به الذفوس ، وابتهجت بكثرة القلوب ، وشرع عماد الدين اتابك بعد ان امر برفع السيف والنهب في عمارة ما انهدم ، وترميم ما تشعث ، ورتب من رآه لتدبير امرها (١٢٨) وحفظها ، والاجتهاد في مصالحتها ، وطيب بذفوس اهليها ، ووعدهم باجمال السيرة فيهم ، وبسط المعدلة في اقاصيهم

وادانيهم ، ورحل عنها وقصد سروج ، وقد هرب الافرنج منها ، فملكها وجعل لا يمر بعمل من اعمالها ، ولا معقل من معاقلها ، فينزل عليه الا سلم اليه في الحال (١٥٢ و) .

وتوجه الى حصن البيرة من تلك الاعمال ، وهو غاية في الامتناع على طالبه ، والصعوبة على قاصده ، فنزل عليه وشرع في محاربته ومضايقته ، وقطع عنه سائر من يصل اليه بالقوت والميرة والمعونة والنصرة ، ولم يزل محاصرا له ومحاربا ومضيقا الى ان ضعف امره ، وهدمت الميرة فيه ، وورد على عماد الدين وقد اشرف على ملكته من خبر نائبه في الموصل الامير جقر بن يعقوب ، في الوثوب عليه وقتله ما ازعجه وأقلقه ، ورحله عنها لكشف الحال الحادثة بالموصل (١٢٩) ، مما يأتي شرح ذلك في موضعه

... وفي شهر رمضان منها ورد الخبر من ناحية الشمال بأن عسكر الافرنج المجتمع بناحية انطاكية لانجاد اهل الرها من جميع اعمالها ومعاقلها (١٣٠) .

وكان عماد الدين اتابك قد انهض اليه جيشا وأفر العدد ، من طوائف التركمان والاجناد ، فهجموا عليه بغتة وأوقعوا بمن وجدوه في أطرافه ونواحيه ، وفتكوا به ، فرحل في الحال وقد استولوا على كثير من الافرنج قتلا واسرا ، واشتملوا على جملة وافرة من كراعهم ، وتحكم السيف في اكثر الراجل ، وتفرقوا في اعمالهم ومعاقلهم مفلولين مخذولين خاسرين

سنة احدى واربعين وخمسمائة

....) فيها قتل عماد الدين اتابك على قلعة
جعبر)....

ووردت الاخبار في اثناء ذلك في ايام من جمادى الآخرة من السنة بأن ابن جوسلين جمع الافرنج من كل ناحية ، وقصد مدينة الرها على غفلة بموافقة من النصارى المقيمين فيها فدخلها واستولى عليها ، وقتل من فيها (١٥٦ ظ) من المسلمين فضاقت الصدور باستماع هذا الخبر المكروه ، ووردت الاخبار مع ذلك ، بأن الأمير نور الدين صاحب حلب نهض في عسكره ، ومن انضاف اليه من التركمان عند وقوفه على الخبر ، وتقدمه سبيف الدولة سوار ، واغذوا السير ليلا ونهار (وغدوا وابكارا) مع من اجتمع من الجهات ، وهم الخلق الكثير ، والجم الغفير زهاء عشرة آلاف فارس ، ووقفت الدواب في الطرقات من شدة السير ، ووافى البلد وقد حصل ابن جوسلين واصحابه فيه ، فهجموا عليهم ، ووقع السيف فيهم ، وقتل من أرمن الرها والنصارى من قتل ، وانهزم (من انهزم) الى برج يقال له برج الماء ، فحصل ابن جوسلين في تقدير عشرين فارسا من ابطال اصحابه ، واحدق بهم المسلمون من جهاته ، وشرعوا في الذقب عليهم ، ماكان الا بقدر كلا ولا ، حتى تعرقب البرج ، وانهزم ابن جوسلين ، وافلت منه في الخفية مع اصحابه ، واخذ الباقون ، ومحق السيف كل من ظفر به من نصارى الرها ، واستخلص من كان اسر من المسلمين ، ونهب منها الشيء الكثير من المال والاثاث والسبي ، وسرت النفوس بهذا النصر بعد الحزن ، والانخزال ، وقويت القلوب بعد الفشل والانخزال ، وانكفأ المسلمون بالغنائم والسبي الى حلب وسائر الأطراف .

وكان معين الدين (أنر اتابك دمشق) قد حصل آلات الحرب والمنجنوقات ، وجمع من أمكنه جمعه من الخيل والرجل ، وتوجه الى ناحية صرخد وبصرى بعد ان اخفى عزمته ، وستر نيته استظهارا لبلوغ طلبه ، وتسهيل اربه (١٥٧ و) ونزل غفلة على صرخد ، وكان المعروف بها بالتونناش غلام امين الدولة كمشتكين الاتابكي ، الذي كان واليها اولا ، وكانت نفسه قد حدثته بجهله ، انه يقاوم من يكون مستوليا على مدينة دمشق ، وان الافرنج يعينونه على مراده وما يلتمسسه من انجاسه واسعائه ، ويكونون معه على ما نواه من عيئه وافساده ، وكان قد خرج للأمر المتخفي من حصن صرخد الى ناحية الافرنج للاستتصار بهم ، وتقرير احوال الفساد معهم ، ولم يعلم ان الله لا يصلح عمل المفسدين ، ولم يشعر بما نواه معين الدين من ارهاقه بالمعاجلة ، وعكس آماله بالنازلة فعال بينه وبين العود الى احد الحصنين المذكورين ولم تزل المعاربة بين من في صرخد والمنازلين متصلة ، والنقوب مستعملة ، والمراسلات مترددة ، والتهديد ، إن لم يجب الى المطلوب ، ومعين الدين لا يعدل عن المغالبة والمدافعة ، وكان قد عرف تجمعهم وتأهبهم للنهوض اليه وازعاجه وترحيله (١٣١) عنها ، فاجبت هذه الحال ان راسل نور الدين صاحب حلب يسأله الاتحاد على الكفيرة الاضداد بنفسه وعسكره ، فاجابه ، الى ذلك ، وكان لاتفاق الصلاح مبرزا بظاهر حلب في عسكره ، فشى اليه الاعنة ، واغذا السير ، ووصل الى دمشق في يوم الاربعاء السابع وعشرين من ذي الحجة من السنة ، وخيم بعين شواقة (١٣٢) ، واقام اياما يسيرة ، وتوجه نحو صرخد ، ولم يشاهد احسن من عسكره وهيئته وعدته ، ووفور عدته .

واجتمع العسكران وارسل من بصرخد اليهما يلتمس الامان ، والمهلة اياما ، ويسلم المكان ، وكان ذلك منهم على سبيل المغالطة والمخاطلة ، الى حين يصل عسكر الافرنج لترحيل النازلين

عليهم ، وقضى الله تعالى الخيرة التامة للمسلمين ، والمصلحة الشاملة لأهل الدين وصول من -أخبر بتجمع الأفرنج واحتشادهم ونهوضهم في فارسهم وراجلهم مجدين السير الى ناحية بصرى ، وعليها فرقة وافرة من العسكر محاصرة لها ، فهض العسكر في الحال والساعة عند المعرفة بذلك الى ناحية بصرى ، كالشواهين الى صيدها والبزاة (١٥٧ ظ) الى حجلها ، بحيث سبقوا الأفرنج الى بصرى ، فحالوا بينهم وبينها ، ووقعت العين على العين ، وقربت المسافة بين الفريقين ، واستظهر عسكر المسلمين على المشركين ، وملكوا عليهم المشرب والمسرب وضايقوهم برشق السهام وارسال نبل الحمام ، وأكثروا فيهم القتل والجراح واضرام النيران في هشيم النبات في طرقهم ومسالكهم ، وأشرفوا على الهلاك والدمار ، وحلول البوار ، وولوا الأدبار ، وتسهلت الفرصة في اهلاكهم ، وتسرعت الفوارس والأبطال الى الفتك بهم ، والمجاهدة فيهم .

وجعل معين الدين يكف المسلمين عنهم ، ويصدهم عن قصدهم ، والتتبع لهم في انهزامهم ، اشفاقا من كرة تكون لهم ، وراجعة عليهم ، بحيث عادوا على اعقابهم ناكسين ، وبالخذلان منهم منهزمين ، قد شملهم الفناء ، وأحاط بهم البلاء ، ووقع اليأس من فلاحهم ، وسلمت بصرى الى معين الدين بعد تقرير امر من بها ، واجابتهم على ما اقترحوه من اقطاعاتهم ، ورحل عنها عائدا الى صرخد ، وجرى الأمر في تسليمها الى معين الدين على هذه القضية ، وعاد العسكران الى دمشق ووصلها في يوم الأحد السابع والعشرين من المحرم سنة اثنتين وأربعين ، وأقام نور الدين في الدار الأتابكية ، وتوجه عائدا الى حلب في يوم الأربعاء انسلاخ المحرم من السنة المذكورة .

وفي هذا الوقت وصل التونتاش ، الذي خرج من صرخد الى الأفرنج بجعله وسخافة عقله ، الى دمشق من بلاد الأفرنج ، بغير

- ٥١٣٠ -

أمان ولا تقرير واستئذان ، توهمنا منه أنه يكرم ويصطنع بعد
الاساءة القبيحة ، والارتداد عن الاسلام فاعتقل في الحال ، وطالبه
أخوه خطلج ، بما جناه عليه من سمل عينيه ، وعقد لهما مجلس
حضره القضاة والفقهاء ، وأوجبوا عليه القصاص ، فسمل كما
سمل أخاه ، وأطلق الى دار له بدمشق فأقام بها ٠٠٠

سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة

.... وفي هذه السنة تواصلت الأخبار من ناحية القسطنطينية ، وبلاد الفرنج والروم وما والاها ، بظهور ملوك الفرنج من بلادهم منها المان والفضش ، وجماعة من كبارهم في العدد الذي لا يحصر والعدد التي لا تحرز ، لقصد بلاد الاسلام ، بعد ان نادوا في سائر بلادهم ومعاقلمهم بالذفير اليها ، والاسراع نحوها ، وتخلية بلادهم وأعمالهم خالية ، سافرة من حمايتها والحفظة لها ، واستصحبوا من أموالهم ونخائزهم وعندهم الشيء الكثير ، الذي لا يحصى ، بحيث يقال ان عدتهم الف الف عنان ، من الرجالة والفرسان ، وقيل اكثر (١٦١ و) من ذلك ، وغلّبوا على اعمال القسطنطينية ، واحتاج ملكها الى الدخول في مداراتهم ، ومسالمتهم ، والنزول على احكامهم ، وحين شاع خبرهم ، واشتهر أمرهم ، شرعت لالة الأعمال المصاغبة لهم ، والأطراف الاسلامية القريبة منهم ، في التأهب للمدافعة لهم ، والاحتشاد على المجاهدة فيهم ، وقصدوا منافذهم ، ودروب معايرهم التي تمنعهم من العبور والذفوذ الى بلاد الاسلام وواصلوا شن الغارات على اطرافهم ، واشتجر القتل فيهم ، والفتك بهم الى ان هلك منهم العدد الكثير وحل بهم من عدم القوت والعلوفات والمير وغلاء السعر اذا وجد ما أفنى الكثير منهم بموت الجوع والمرض ولم تنزل اخبارهم تتواصل بهلاكهم وفناء اعدائهم الى اواخر سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة بحيث سكنت الذفوس بعض السكون ، وركنت الى فساد احوالهم بعض الركون، وخف ما كان من الانزعاج والفرق مع تواصل اخبارهم.

ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة

وأولها يوم الجمعة الحادي وعشرين من ايار ، والشمس في
الجوزاء ، وفي أوائلها تواترت الأخبار من سائر الجهات بوصول
مراكب الافرنج ، المقدم ذكرهم الى ساحل البحر ، وحصولهم على
سواحل الثغور الساحلية صدور وعكا واجتماعهم مع من كان بها من
الافرنج ، ويقال انهم بعد ما فني منهم بالقتل والمرض والجوع تقدير
مائة الف عنان ، قصدوا بيت المقدس ، وقضوا مفروض
حجهم ، وعاد بعد ذلك من عاد الى بلادهم ، في البحر ، وقد هلك
منهم بالموت والمرض الخلق العظيم ، وهلك من ملوكهم من
هلك ، وبقي الماز أكبر ملوكهم ، ومن هو دونه ، واختلفت الآراء
بينهم فيما يقصدون منازلته من البلاد الاسلامية ، والاعمال الشامية
الى ان استقرت الحال بينهم على منازلة مدينة دمشق ، وحدتتهم
ذفوسهم الخبيثة بملكته ، وتبايعوا ضياعها وجهاتها ، وتواصلت
الأخبار بذلك ، وشرع متولي أمرها الأمير معين الدين أنر في التاهب
والاستعداد لحربهم ، ودفع شرمهم ، وتحصين ما يخشى من
الجهات ، وترتيب الرجال في المسالك والمنافذ ، وقطع مجاري المياه
(١٦١ ظ) الى منازلهم وطم الآبار ، وعفي المناهل ، وصرفوا
أغنتهم الى ناحية دمشق في حشدهم وحدهم وحبيدهم ، في الخلق
الكثير ما يقال ، تقدير الخمسين الف من الخيل والرجل ، ومعهم
من السواد والجمال والابقار ما كثروا به العدد الكثير ، وبدوا من
البلد ، وقصدوا المنزل المعروف بمنازل العساكر فصادفوا الماء
معدوما فيه ، مقطوعا عنه ، فقصدوا ناحية المزة ، فخيما عليها
لقربها من الماء وزحفوا اليه بخيلهم ورجلهم ، ووقف المسلمون
بإزانتهم في يوم السبت السادس من شهر ربيع الاول سنة ثلاث
واربعين ، ونشبت الحرب بين الفريقين ، واجتمع عليهم من
الأجناد والأتراك الفتاك ، واحداث البلد والمطوعة والغزاة الجم

الغدير واشتجر القتل بينهم ، واستظهر الكفار على المسلمين [بكثر] الاعداد والعـدد ، وغلبوا على الماء ، وانتشروا في البساتين ، وخيموا فيها ، وقربوا من البلد ، وحصلوا منه بمكان لم يتمكن احد من العساكر قهيماً ولا حديثاً منه ، واستشهد في هذا اليوم الفقيه الامام يوسف الفدلاوي (١٣٣) المالكي رحمه الله ، قريب الربوة على الماء ، لوقوفه في وجوههم ، وترك الرجوع عنهم ، اتباعا لاوامر الله تعالى في كتابه الكريم ، وكذلك عبد الرحمن الحلولي الزاهد رحمه الله جرى امره هذا المجرى .

وشرعوا في قطع الاشجار والتحصين بها وهدم الفطائر (١٣٤) وماتوا تلك الليلة على هذا الحال ، وقد لحق الناس من الارتياح لهول ما شاهدوه ، والروع بما عاينوه ، ما ضعفت به القلوب ، وحرجت معه الصدور ، وباكروا إليهم في غد ذلك اليوم ، وهو يوم الاحد تاليه ، وزحفوا اليهم ، ووقع الطراد بينهم ، واستظهر المسلمون عليهم ، واكثروا القتل والجراح فيهم ، وابلى الامير معين الدين في حربهم بلاء حسنا ، وظهر من شجاعته وصبره وبسالته ما لم يشاهد في غيره ، بحيث لايني في نيابتهم ولا ينثني عن جهانهم ، ولم تزل رحي الحرب نائرة بينهم ، وخيل الكفار محجمة عن الحملة المعروفة لهم ، الى ان تنهت الفرصة لهم الى ان مالت الشمس الى الغروب ، واقبل الليل ، وطلبت النفوس الراحة ، وعاد كل منهم الى مكانه ، وبات الجند (١٦٢ و) بازائهم ، واهل البلد على اسوارهم للحرس والاحتياط ، وهم يشاهدون اعداءهم بالقرب منهم .

وكانت المكاتبات قد نفذت الى ولاية الاطراف ، بالاستصراخ والاستنجاد ، وجعلت خيل التركمان تتواصل ، ورجالة الاطراف تتابع ، وباكرهم المسلمون ، وقد قويت نفوسهم ، وزال روعهم ، وثبتوا بازائهم ، واطلقوا فيهم السهام ، ونبل الجرح (١٣٥) بحيث تنتع في مخيمهم في راجل ، او فارس ، او فرس ، او جمل .

ووصل في هذا اليوم من ناحية البقاع وغيرها ، رجالة كثيرة من الرماة ، فزانت بهم العدة ، وتضاعفت العدة ، وانفصل كل فريق الى مستقره هذا اليوم وياكروهم من غده يوم الثلاثاء كالبزة الى يعاقيب (١٣٦) الجبل ، والشواهين الى مطار الحجل ، وانحاطوا بهم في مخيمهم ، وحول منجثمهم ، وقد تحصنوا باشجار الزيتون ، وافسدوها رشقا بالنشاب ، وحذفا بالاحجار ، وقد اجتمعوا عن البروز ، وخافوا وفشلوا ، ولم يظهر منهم الا النفر اليسير من الخيل والرجل على سبيل المطاردة والمناوشة ، خوفا من المهاجرة ، الى ان يجدوا لحماتهم مجالا ، او يجدون لفرة احتيالا ، وليس يذنو منهم احد الا صرع برشقة او طعنة ، وطمع فيهم نفر كثير من رجالة الاحداث والضياح ، وجعلوا يرصدونهم في المسالك وقد اينوا (١٣٧) فيقتلون من ظفروا به ، ويحضرون رؤوسهم لطلب الجوائز عنها ، وحصل من رؤوسهم العدد الكثير .

وتواترت اليهم اخبار العساكر الاسلامية ، بالخفوف الى جهادهم ، والدمار الى استئصالهم ، فايقتوا بالهلاك والبوار ، وحلول الدمار ، واعملوا الاراء بينهم ، فلم يجدوا لنفوسهم خلاصا من الشبكة التي حصلوا فيها ، والهوة التي القوا بنفوسهم اليها ، غير الرحيل سحر يوم الاربعاء التالي مجفلين والهرب مخذولين مفلولين (١٣٨) ، وحين عرف المسلمون ذلك ، وبانت لهم آثارهم في الرحيل ، برزوا لهم في بكرة هذا اليوم ، وسارعوا نحوهم في آثارهم بالسهام ، بحيث قتلوا في اعقابهم من الرجال والخيول والدواب العدد الكثير ، ووجد في اثار منازلهم وطرقاتهم من دفائن قتلاهم ، وفاخر خيولهم ما لا (١٦٢ ظ) عد له ولا حصر يلحقه ، بحيث لها ارائع من جيفهم ، تكاد تصرع الطيور في الجو ، وكانوا قد احرقوا الرية والقبه الممدوبة في تلك الليلة ، واستبشر الناس بهذه النعمة التي اسبغها الله عليهم ، واكثروا من الشكر له تعالى ما اولاهم من اجابة دعائهم ، الذي واحصلوه في ايام هذه الشدة ، فله على ذلك الحمد والشكر .

واتفق عقيب هذه الرحمة ، اجتماع معين الدين مع نور الدين صاحب حلب ، عند قرية من دمشق للانجاد لها في اواخر شهر ربيع الاخر من السنة ، وانهما قصدا الحصن المجاور لطرابلس المعروف (بالعريمة) (١٣٩) وفيه ولد الملك الفدش احد ملوك الافرنج المقدم ذكرهم ، كان هلك بناحية عكا ، ومعه والدته ، وجماعة وافرة من خواصه وابطاله ، ووجوه رجاله ، فاحاطوا به ، وهجموا عليه ، وقد كان وصل الى العسكرين النوري والمعيني فرقة تناهز الالف فارس ، من عسكر سيف الدين غازي بن اتابك ، ونشبت الحرب بينهم فقتل اكثر من كان فيه ، واسر ، واخذ ولد الملك المذكور وامه ، ونهب ما فيه من العسد والخيول والاثاث ، وعاد عسكر سيف الدين (١٤٠) الى مخيمه بجمص ، ونور الدين عائدا الى حلب ومعه ولد الملك وامه ومن اسر معهما وانكفا معين الدين الى دمشق .

وقد كان ورد الى دمشق الشريف الامير شمس الدين ، ناصح الاسلام ، ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبيد الله الحسيني النقيب ، من ناحية سيف الدين غازي بن اتابك ، لانه كان قد ندب رسولا من الخلافة الى سائر الولاة ، وطوائف التركمان لبعثهم على نصره المسلمين ، ومجاهدة المشركين ، وكان ذلك السبب في خوف الافرنج من تواصل الامداد اليهم ، والاجتماع عليهم ورحيلهم على القضية المشروحة

ووردت الاخبار في رجب منها من ناحية حلب ، بان نور الدين صاحبها ، كان قد توجه في عسكره الى ناحية الاعمال الافرنجية ، وظفر بعدة وافرة من الافرنج ، وان صاحب انطاكية جمع الافرنج ، وقصده على حين غفلة منه ، فنال من عسكره واذقاله وكراعه مبا ووجبته الاقدار النازلة ، وانهزم بذفسه وعسكره ، وعاد الى حلب سالما في عسكره لم يفقد منه الا الذفر اليسير بعد قتل جماعة وافرة من الافرنج ، واقام بحلب اياما (١٤١) ، بحيث جند ما نهب له من اليزك (١٤٢) ، وما يحتاج اليه من الات العسكر ، وعاد الى منزله ، وقيل لم يعد

سنة أربع وأربعين وخمسمائة

واولها يوم الاربعاء الحادي عشر من أيار، قد كان كثير فساد
الافرنج المقيمين بصور وعكا والثغور الساحلية ، بعد رحيلهم عن
دمشق ، وفساد شرائط الهدنة المستقرة بين معين الدين وبينهم ،
بحيث شرعوا في الفساد في الاعمال الدمشقية ، فاقترضت الحال
نهوض الامير معين الدين في العسكر الدمشقي الى اعمالها ، مغيرا
عليها وعائثا فيها ، وخيم في ناحية حوران بالعسكر ، وكاتب العرب
في اواخر سنة ثلاث واربعين وخمسمائة ، ولم يزل مواصلا للغارات
وشنها على (١٦٤ ظ) بلادهم واطرافهم مع الايام وتقضيها ،
والساعات وتصرمها ، واستدعى جماعة وافرة من التركمان ،
واطلق ايديهم في نهب اعمالهم ، والفتك بمن يظفر به في اطرافهم :
الحرامية ، واهل الفساد ، والاحراب ، ولم يزل على هذه القضية
لهم محاصرا ، وعلى النكاية فيهم والمضايقة لهم مصابرا ، الى ان
الجاهم الى طلب المصالحة ، وتجديد عقد المهادنة ، والمسامحة
ببعض المقاطعة ، وتربدت المراسلات في تقرير هذا الامر ، واحكام
مشروطه واخذ الايمان بالوفاء بشروطه في المحرم سنة اربع واربعين
وخمسمائة ، وتقررت حال الموادعة مدة سنتين ووقعت الايمان على
ذلك ، وزال الخلف ، واطمانت النفوس من اهل العملين بذلك ،
وسكنت الى تمامه ، وسرت باحكامه .

ووافق ذلك تواصل كتب نور الدين صاحب حلب الى معين الدين ،
يعلمه ان صاحب انطاكية جمع افرنج بلاده ، وظهر يطلب بهم
الافساد في الاعمال الحلبية ، وانه قد برز في عسكره الى ظاهر حلب
للقائه ، وكف شره عن الاعمال ، وان الحاجة ماسة الى معاضدتك
بمسيره بنفسه وعسكره اليه ليتفقا بالعسكريين عليه ، فاقترضت
الحال ان نذب الامير معين الدين ، الامير مجاهد الدين بزان بن

مامين ، في فريق وافر من العسكر الدمشقي ، للمصير الى جهته ، وبذل الجهود في طاعته و مناصحته ، وتوجه في يوم (السبت) من العشر الاول من صفر من السنة ، وبقي معين الدين في باقي العسكر بناحية حوران ، لايناس حلال العرب ، وحفظ اطرافهم ، وتطبيب نفوسهم لنقل الغلال على جمالهم الى دمشق ، على جاري العادة ، وحفظها والاحتياط عليها .

وفي صفر من السنة وردت البشائر من جهة نور الدين ، صاحب حلب ، بما اولاه الله وله الحمد من الظهور على حشد الافرنج المخذول ، وجمعهم المفلول ، بحيث لم يقلت منهم الا من خبر ببوارهم ، وتعجيل دمارهم ، وذلك ان نور الدين لما اجتمع اليه ما استدعاه من خيل التركمان والاطراف ، ومن وصل اليه من عسكر دمشق مع الامير مجاهد الدين (١٦٥ و) بزان قويت بذلك نفسه ، واشتدت شوكته ، وكذف جمعه ، ورحل الى ناحية الافرنج بعمل انطاكية ، بحيث صار عسكره يناهز الستة الاف مقاتلة ، سوى الاتباع والسواد والافرنج في زهاء اربعمائة فارس طعانة ، وألف راجل مقاتلة ، سوى الاتباع ، فلما حصلوا بالموضع المعروف باناب (١٤٤) نهض نور الدين في العسكر المنصور نحوهم ، ولما وقعت العين على العين حمل الكفرة على المسلمين حملتهم المشهورة ، وتفرق المسلمون عليهم من عدة جهات ، ثم اطبقوا عليهم واختلط الفريقان ، وانعقد العجاج عليهم وتحكمت سيوف الاسلام فيهم ، ثم انقشع القتام ، وقد منح الله ، وله الحمد والشكر المسلمين النصر على المشركين ، وقد صاروا على الصعيد مصرعين وبه معفرين وبحربهم مخذولين ، بحيث لم ينج منهم الا الذفر اليسير ممن ثبطة الاجل ، واطار قلبه الوجل ، بحيث يخبرون بهلاكهم واحتناكهم ، وشرع المسلمون في اسلابهم ، والاشتمال على سوادهم ، وامتلات الايدي من غنائمهم وكراعهم ، ووجد اللعين البلذس مقدمهم (١٤٥) صريعا بين حماته وابطاله ، فعرف ، وقطع رأسه ، وحمل الى نور الدين ، فوصل حامله بأحسن صلة ، وكان هذا اللعين من

ابطال الافرنج المشهورين بالفروسية ، وشدة البأس ، وقوة الحيل ، وعظم الخلة ، مع اشتهاار الهيبة ، وكبر السطوة ، والتناهي في الشر ، وذلك في يوم الاربعاء الحادي والعشرين من صفر سنة اربع واربعين ، ثم نزل نور الدين في العسكر على باب انطاكية ، وقد خلت من حمايتها والذابين عنها ، ولم يبق فيها غير اهلها مع كثرة اعدادهم ، وحصانة بلدهم ، وترددت المراسلات بين نور الدين وبينهم في طلب التسليم الى نور الدين ، وايمانهم وصيانة احوالهم ، فوقع الاحتجاج منهم بأن هذا الامر لايمكنهم الدخول فيه الا بعد انقطاع امالهم من الناصر لهم والمعين على من يقصدهم ، فحملوا ماامكنهم من التحف والمال ، واستمهلوا فأمهلوا واجيدوا الى ما فيه سألوا ، ثم رتب بعض العسكر للاقامة عليها ، والمنع لمن يصل اليها

ونفض نور الدين في بقية (١٦٥ ظ) العسكر الى ناحية افامية ، وقد كان رتب الامير صلاح الدين في فريق وافر من العسكر لئنازلتها ومضايقتها ومحاربتها ، فحين علم من فيها من المستحفظين هلاك الافرنج ، وانقطع املمهم ، من مواد الانجاد واسباب الاسعاد ، التمسوا الامان ، فأمنوا على نفوسهم ، وسلموا البلد ، ووفى لهم بالشرط ، فرتب فيها من رآه كافيا في حفظها والذب عنها ، وذلك في الثامن عشر من شهر ربيع الاول من السنة .

وانكفاً نور الدين في عسكره الى ناحية (انطاكية ، وقد انتهى الخبر بنهوض الافرنج من ناحية) (١٤٦) الساحل الى صوب انطاكية ، لانجاد من بها وطلب نور الدين تسهل الفرصة في قصدهم للايقاع بهم ، فأحجموا عن الاقدام على التقرب منه ، وتشاغلوا عنه ، واقتضت الحال مهادنة من في أنطاكية وموادعتهم ، وتقرير ان يكون ماقرب من الاعمال الحلبية له ، وماقرب من أنطاكية لهم ، ورحل عنها الى جهة غيرهم ، بحيث قد كان في هذه الذوبة قد ملك ماحول انطاكية من الحصون والقلع والمعازل ، وغنم منها الغنائم الجمة ، وفصل عنه الامير مجاهد الدين بزان في العسكر الدمشقي ، وقد كان

له في هذه الواقعة ولمن في جملة البلاء المشهور ، والذكر المشكور ، لما هو موصوف به ، من الشهامة واصالة الرأي ، والمعرفة بمواقف الحروب ، ووصل الى دمشق سالما في نفسه وجملة في يوم الثلاثاء رابع شهر ربيع الاخر من السنة ، ومن لفظه وصفته ، هذا الشرح معتمدا فيه على الاختصار دون الاثثار ، وفيه من تقوية أركان الدين وإنزال ما بقي من الكفرة الملحدين ما هو مشهور بين العباد ، وسائر البلاد ، مشكور مذكور ، والله تعالى اسمه ، عليه المحمود المشكور ٠٠٠

... وورد الخبر بظهور الافرنج الى الاعمال للعيث فيها والافساد ، وشرعوا في التآهب لدفع شرمهم

وقد كان الخبر اتصل بنور الدين بافساد الافرنج في الاعمال الحورانية بالنهب والسبي ، فعزم على التآهب لقصدهم ، وكتب الى من في دمشق يعلمهم ما عزم عليه من الجهاد ، ويستدعي منهم المعونة على ذلك بالف فارس ، تصل اليه مع مقدم يعول عليه ، وقد كانوا عاهدوا الافرنج ان يكونوا يدا واحدة على من يقصدهم من عساكر المسلمين ، فاحتج عليه ، وغولط ، فلما عرف ذلك رحل ونزل بمرج بيوس وبعض العسكرية (١٤٧) ببيغفور ، فلما قرب من دمشق ، وعرف من بها خبره ، ولم يعلموا اين مقصده ، وقد راسلوا الافرنج بخبره وقرروا معهم (١٤٨) الانجاد عليه ، وكانوا قد نهضوا الى ناحية عسقلان لعمارة غزة ، ووصلت اوائلهم الى بانياس ، وعرف نور الدين خبرهم ، فلم يحفل بهم ، وقال : لانحرف عن جهادهم ، وهو مع ذلك كاف ايدي اصحابه عن العيث والافساد في الضياع ، واحسان الرأي في الفلاحين والتخفيف ، والدعاء له مع ذلك متواصل من اهل دمشق واعمالها ، وسائر البلاد واطرافها ، وكان الغيث قد انحبس عن حوران والغوطة والمرج حتى نزح اكثر اهل حوران عنها للمحل واشتداد الامر ، وترويع سربهم ، وعدم سربهم ، فلما وصل الى بعلبك اتفق للقضاء المقدر ، والرحمة النازلة ان السماء ارسلت

عزاليها بكل وابل وطل واذسكاب وهطل ، بحيث اقام ذلك منذ
الثلاثاء الثالث من ذي الحجة سنة اربع واربعين الى مثله
(١٦٧ ظ) وزادت الانهار ، وامتلات ، برك حوران ، ودارت
ارحيتها ، وعاد ماصوح (١٤٩) من الزرع والنبات غضا طريا ،
وضج الناس بالدعاء لنور الدين ، وقالوا : هذا ببركته وحسن
معدلته وسيرته .

وبخلت سنة خمس وأربعين وخمسمائة

... وورد الخبر في الخامس من المحرم من ناحية حلب بأن عسكرها من التركمان ظفر بابن جوسلين صاحب اعزاز واصحابه ، وحصوله في قبضة الاسر في قلعة حلب ، فسر بهذا الفتح كافة الناس .
وورد الخبر بان الملك (١٥٠) مسعود وصل في عسكره طالبا انطاكية ، ونزل على تل باشر ، وضايقها في ايام من المحرم

وقد كان نور الدين عقيب رحيله عن دمشق ، وحصول ابن جوسلين في قلعة حلب اسيرا ، توجه في عسكره الى اعزاز بلد ابن جوسلين ، ونزل عليها ، وضايقها وواظب قتالها ، الى ان سهل الله تعالى ملكتها بالامان ، وهي على غاية من الحصانة والمنعة والرفعة ، فلما تسرب رتب فيها من ثقاته من وثوقه ، ورحل (١٦٨ ظ) عنها ظافرا مسرورا ، عائدا الى حلب ، في ايام من شهر ربيع الاول من السنة .

وفي رجب من السنة وردت الاخبار من ناحية نور الدين بظفره بعسكر الافرنج النازلين يازائه قريبا من تل باشر ، وعظم الزكايه فيهم ، والفتك بهم ، وامتلات الايدي من غنائمهم وسبيهم ، واستيلائه على حصن (١٥١) (تل) خالد ، الذي كان مضايقه ومنازله ...

ودخلت سنة ست وأربعين وخمسمائة

... واقام (نور الدين) على هذه الصورة ، ثم رحل الى ناحية الاعوج لقرب عسكر الافرنج ، وعزمهم على قصده ، واقتضى رايه الرحيل الى ناحية الزبداني استجرارا لهم ، وافرق من عسكره فريقا يناهز اربعة الاف فارس ، مع جماعة من المقدمين ، ليكونوا في اعمال حوران مع العرب ، لقصد الافرنج واقائهم وترقبا لوصولهم ، وخروج العسكر الدمشقي اليهم ، واجتماعهم (بهم) ثم يقاطع عليهم (١٥٢) .

واتفق ان عسكر الافرنج وصل عقيب رحيله الى الاعوج ، ونزل به في اليوم الثالث من شهر ربيع الاول من سنة ست وأربعين ووصل منهم خلق كثير الى البلد ، لقضاء حوائجهم ، وخرج مجير الدين ومؤيده في خواصهما ، وجماعة وافرة من الرعية ، واجتمعا بملكهم وخواصه وما (١٧٠ ظ) صادفوا عندهم شيئا مما هجس في النفوس من كثرة ، ولا قوة ، وتقرر بينهم النزول بالعسكريين على حصن بصرى ، لتملكه ، واستغلال اعماله .

ثم رحل عسكر الافرنج الى رأس الماء ، ولم يتهيا خروج العسكر الدمشقي اليهم لعجزهم واختلافهم ، وقصد من كان بحوران من العسكر الذوري ، ومن انضاف اليهم من العرب في خلق كثير ، ناحية الافرنج ، للايقاع بهم والنكاية فيهم ، والتجأ عسكر الافرنج الى لجة حوران للاعتصام به ، وانتهى الخبر الى نور الدين ، فرحل ونزل على عين الجر ، من البقاع ، عائدا الى دمشق ، وطالبا قصد الافرنج ، والعسكر الدمشقي ، وكان الافرنج حين اجتمعوا مع العسكر الدمشقي ، قد قصدوا بصرى لمانزلتها ومضايقتها

ومحاربتها فلم يتهياً ذلك لهم ، وظهر اليهم سرخاك واليهما في رجاله ،
وعادوا عنه خاسرين ، واذكفاً عسكر الافرنج الى اعماله في العشر
الاول من شهر ربيع الاول من السنة ، وراسلوا مجير الدين
ومؤيده ، يلتمسون باقي المقاطعة المذبولة لهم على ترحيل نور الدين
عن دمشق ، وقالوا : لولا نحن ندفعه مارحل عنكم .

وفي هذه الايام ورد الخبر بوصول الاسطول المصري الى ثغور
الساحل في غاية من القوة ، وكثرة العدة والعدة ، وذكر ان عدة
مراكبة سبعون مركبا حربية مشحنة بالرجال ، ولم يخرج مثله في
السنين الخالية ، وقد انفق عليه على ما حكي ثلاثمائة الف دينار ،
وقرب من ياقا من ثغور الافرنج فقتلوا واسروا واحرقوا ماظفروا به
واستولوا على عدة وافرة من مراكب الروم والافرنج ، ثم قصدوا
ثغر عكا ، وفعلوا فيه مثل ذلك ، وحصل في ايديهم عدة وافرة من
المراكب الحربية والافرنجية ، وقتلوا من حجاج (الفرنج) وغيرهم
خاذا عظيما ، وانفذوا ما امكن الى ناحية مصر ، وقصدوا ثغر صيدا
وبيروت وطرابلس ، وفعلوا فيها مثل ذلك .

ووعد نور الدين بمسيره الى ناحية الاسطول المذكور لاعانته على
تدويخ الافرنجية ، واتفق اشتغاله بامر دمشق ، وعوده اليها
لمضايقتها ، وحدث نفسه بملكيتها لعلمه بضعفها ، وميل الاجناد
والرعية اليه

وفي اخر شعبان ورد الخبر من ناحية بانانيس بان فريقا وافرا
(١٧٢ و) من التركمان غاروا على ظاهرها ، وخرج اليهم واليهما
من الافرنج في اصحابه ، وواقفهم ، فظهر التركمان عليهم ، وقتلوا
منهم واسروا ، ولم يفلت منهم غير الوالي ، ودفريسير ، واتصل
الخبر بمن في دمشق ، فانكر مثل هذا الفعل بحكم انعقاد الهدنة
والموادعة ، وانهض اليهم من العسكر الدمشقي من صادف بعض
التركمان متخلفا عن رفقتهم ، فحصلوا منهم ما كان في ايديهم وعادوا
بثلاثة نفر منهم .

وفي ايام من اوائل رمضان من السنة ، ورد الخبر بان اكثر عسكر
الافرنج قصدوا ناحية البقاع ، على حين غرة من اهلها ، وغاروا
على عدة وافرة من الضياع ، فاستباحوا ما بها من رجال ونسوان
وشيوخ واطفال ، واستاقوا عواملها ومواشيها ودوابها ، واتصل
الخبر بوالي بعلبك ، فأنهض اليهم رجاله ، واجتمع اليهم خلق كثير
من رجال البقاع ، واسرعوا نحوهم القصد ، ولحقوهم وقد ارسل
الله تعالى عليهم من الثلوج المتداركة ما نبطهم وحيرهم فقتلوا من
رجالتهم الاكثر ، واستخلصوا من الاسرى والمواشي ما سلم من
الهلاك بالثلج ، وهو الاقل ، وعادوا على اقبح صفة من الخذلان
وسوء الحال ، بحمد الله ، ونصرة المسلمين (١٥٣) •

ودخلت سنة سبع واربعين وخمسماية

واولها يوم الثلاثاء مستهل الحرم ، وفي المحرم منها ورد الخبر من ناحية نور الدين بنزوله على حصن انطربوس في عسكره ، وافتتاحه له ، وقتل من كان فيه من الافرنج ، وطلب الباقون الامان على النفوس ، فأجيبوا الى ذلك ورتب فيه الحفظة وعاد (١٥٤) عنه ، ومالك عدة من الحصون ، بالسيف والسبي والاضراب ، والحرق والامان ...

ووردت الاخبار من ناحية عسقلان ، في يوم الخميس العاشر من المحرم بظفر رجال عسقلان بالافرنج المجاورين لهم بغزة بحيث هلك منهم العدد الكثير ، وانهزم الباقون ...

وبدلت سنة ثمان واربعين وخمسمائة

... وتواصلت الاخبار من ناحية نور الدين سلطان حلب والشام ، بقوة عزمه على جمع العساكر والتركمان من سائر الاعمال والبلدان ، للغزو في أحزاب الشرك والطفغان ، وبنصرة اهل عسقلان على النازلين عليها من الافرنج ، وقد ضايقوها بالزحف اليها بالبرج المخدول ، وهو في الجمع الكثير ، والله يحرسها من شهرهم ، واقتضت الحال توجه مجير الدين صاحب دمشق الى نور الدين ، في جمهور عسكره ، للتعاقد على الجهاد ، في يوم السبت الثالث عشر من المحرم ، واجتمع معه في ناحية الشمال ، واتفق بينهما وجماعة المقدمين من امراء الاعمال والتركمان ، وهم في العبد الدثر ، وقد ملك نور الدين الحصن المعروف بأفلس (١٥٥) بالسيف بأمر قضاء الله وسهله ويسره وعجله ، وهو في غاية المنعة والحصانة ، وقتل من كان فيه من الافرنج والارمن ، وحصل للعسكر من المال والسبي الشيء الكثير .

ونهضوا طالبين ثغر بانياس ، ونزلوا عليه في يوم السبت تاسع وعشرين صفر ، وقد خلا من حماته وتسهلت اسباب ملكته ، وقد تواصلت استغاثة اهل عسقلان واستنصارهم بنور الدين ، ففضى الله تعالى بالخلاف بينهم ، والقتل وهم في تقير عشرة الاف فارس وراجل ، فأجفلوا عنها من غير طارق من الافرنج طرقهم ولا عسكر (١٧٤ و) ارهقهم ، ونزلوا على المنزل المعروف بالاعوج ، وعزموا على معاودة النزول على بانياس واخذها ، ثم احجموا عن ذلك من غير سبب ولا موجب وتفرقوا ، وعاد مجير الدين الى دمشق وبخلها سالما في نفسه وجملته ، في يوم الاثنين الحادي عشر من شهر ربيع الاول من السنة ، وعاد نور الدين الى حمص ، ونزل بها في عسكره .

ووردت الاخبار بوصول اسطول مصر الى عسقلان ، وقويت نفوس من بها بالمال والرجال والغلال ، وظفروا بعة من مراكب الافرنج في البحر ، وهم على حالها في محاصرتها ومضايقتها ، والزحف بالبرج اليها ..

ووردت الاخبار في أثناء ذلك بأن الافرنج النازلين على عسقلان قد (١٧٤ ظ) ضايقوها بمغادة السقتال ومراوحتة ، الى ان تسهلت لهم اسباب الهجوم عليها من بعض جوانب سورها ، فهدموه وهجموا البلد ، وقتل بين الفريقين الخلق الكثير ، والجات الضرورة والغلبة الى طلب الامان ، فأجيبوا اليه ، وخرج منها من أمكنة الخروج في البر والبحر الى ناحية مصر وغيرها ، وقيل ان في هذا الثغر المفتح من العمد الحربية والاموال ، والميرة والغلال مالا يحصر فيذكر ، ولما شاع هذا الخبر في الاقطار ساء سماعه ، وضاعت الصدور ، وتضاعفت الافكار بحدوث مثله ، فسبحان من لا يرد نافذ قضائه ، ولا يدفع محتوم امره عند نفونه ومضائه .

ودخلت سنة تسع وأربعين وخمسمائة

ثم ورد الخبر بعد ذلك بأن الامير فارس المسلمين ، طلائع بن رزيك ، وهو من اكابر الامراء المقدمين ، والشجعان المذكورين ، لما انتهى اليه الخبر ، وهو غائب عن مصر ، قلق لذلك ، وامتعص ، وجمع واحشد ، وقصد العود الى مصر فلما عرف عباس الوزير بما جمع ، خاف الغلبة والاقدام على الهلكة ، اذ لاطاقة له بملاقاته في حشده الكثير ، ولم يمكنه المقام على الخطار بالذفس ، فتأهب للهرب في خواصه واسبابه ، وحرمه ووجوه اصحابه وماتيهياً من ماله وتجمله وكراعه ، وسار مغذا ، فلما قرب من اعمال عسقلان وغزة ظهر اليه جماعة من خيالة الافرنج ، فاغتر بكثرة من معه ، وقله من قصده ، فلما حملوا عليه قتل اصحابه واعانوا عليه ، وانهزم اقبح هزيمة هو وولد له صغير ، واسر ابنه الكبير الذي قتل ابن السلار مع ولده وحرمه وماله وكراعه ، وحصلوا في ايدي الافرنج ، ومن هرب لقي ممن الجوع والعطش ، ومات العدد الكثير من الناس والدواب ، ووصل الى دمشق منهم من نجاه الهرب ، على اشنع صفة من العدم والعري والفقر ، في اواخر شهر ربيع الاخر من السنة ، وضافت صدور المسلمين بهذه المصيبة المقضية بيد الافرنج ، فسبحان من لا يرد له قضاء ، ولا محتوم امر (١٥٦) .

وفي ايام من جمادى الاولى من السنة ورد الخبر من ناحية مصر ، بان عدة وافرة من مراكب الافرنج من صائية وصلت الى مدينة تنيس ، على حين غفلة من اهلها فهجمت عليها ، وقتلت واسرست وسببت وانتهبت ، وعادت بالغنائم بعد ثلاثة ايام وتركها صفرا ، وبعد ذلك عاد من كان هرب منها في البحر بعد الحادثة ، ومن سلم ، واخفى وضافت الصدور ، عند استماع هذا الخبر المكروه .

ودخلت سنة خمسين وخمسمائة

وفي ايام من شعبان من السنة ، ورد الخبر من ناحية مصر بأن المنتصب في الوزارة فارس الاسلام ابن رزيك ، لما استقام له الامر عزم على مصالحة الافرنج وموادعتهم ، واستدكفاه شرمهم ، ومصانعتهم بمال يحمل اليهم من الخزانة ، وما يفرض على اقطاع المقدمين من الأجناد ، فحين شاورهم في ذلك انكروه ، وذفروا منه ، وعزموا على عزله والاستبدال به من يرتضون به واختاروا مقدا يعرف بالأمير .. مشهورا بالشهامة والبسالة وحسن السياسة ، وارتضى لتولية الاسطول المصري مقدا من البحرية شديد البأس ، بصيرا بأشغال البحر ، فاختار جماعة من رجال البحر يتكلمون بإسان الافرنج ، وألبسهم لباس الافرنج ، وأنهضهم في عدة من المراكب الأسطولية ، وأقلع في البحر لكشف الأماكن والمكامن والمسالك المعروفة بمراكب الروم ، وتعرف أحوالها ، ثم قصد ميناء صور ، وقد ذكر له أن فيه شخورة رومية كبيرة ، فيها رجال ، ومال كبير وافر ، فهجم عليها وملكها ، وقتل من فيها ، واستولى على ماحوته ، وأقام ثلاثة أيام ثم أحرقها ، وعاد عنها في البحر ، فظفر بمراكب حجاج افرنج ، فقتل وأسر وانتهب ، وعاد منكفئا الى مصر بالغنائم والأسرى .

وفي الشهر المذكور ، ورد الخبر من ناحية حلب ، بوقوع الخلف بين أولاد الملك مسعود بعد وفاته ، وبين أولاد قتلмыш ، وبين أولاد قلج أرسلان ، وأن الملك العادل نور الدين صاحب دمشق وحلب دخل بينهم للصلح والاصلاح ، والتحخير من الخلف المقوي للأعداء من الروم والافرنج ، وطمعهم في المعامل الإسلامية ، وببالغ في ذلك

- ٥١٥٠ -

بأحسن توسط ، وبذل التحف والملاطفات ، وصالحت بينهم
الأحوال .

ودخلت سنة احدى وخمسين وخمسمائة

وفي شوال تقرررت الموادعة والمهادنة بينه (نور الدين) وبين ملك الأفرنج مدة سنة كاملة أولها شعبان ، وأن المقاطعة المحمولة اليهم من دمشق ثمانية آلاف دينار صورية ، وكتبت المواصفة بذلك بعد تأكيدها بالإيمان بالمواثيق المشدودة ، وكان المعروف بأبي سالم ابن همام الحلبي قد ولي مشارفه الديوان بدمشق ، بعناية الأمير أسد الدين النائب عن الملك العادل نور الدين ، فظهرت منه خيانات اعتمدها ، وتفريطات قصدها بجهله وسخافة عقله وتقصيره ، فأظهرها قوم من المتصرفين عند الكشف عنها ، والتحقيق لها ، فاقتضت الحال القبض عليه والاعتقال له الى أن يقوم بما وجب عليه ، فلما كان في يوم الأحد السادس عشر من شوال سنة إحدى وخمسين وخمسمائة خرج الأمر السامي الذوري بالكشف عن سعياته في فضول كان غنيا عنها ، فاقتضت الحال بأن تحلق لحيته ويركب حمارا مقلوبا ، وخلافه من يعلوه بالدرة ، وأن يطاف به في أسواق دمشق بعد سخام وجهه ، وينادى عليه : « هذا جزاء كل خائن ونمام » ثم أقام بعد ذلك في الاعتقال أياما ، ثم أمر بنفيه الى حلب بشفاة من شفع فيه من مقدمي الدولة السعيدة ، فمضى على أقبح صفة من لعن الناس ، ونشر مخازيه ، وتعيد مساوية ...

وفي العشر الأخير من ذي الحجة من السنة غدر الكفرة الأفرنج ، وذكضوا ماكان استقر من الموادعة والمهادنة ، بحكم وصول عدة وافرة من الأفرنج في البحر ، وقوة شوكتهم بهم ، ونهضوا الى ناحية الشعراء المجاورة لبانياس ، وقد اجتمع فيها من جشارات خيول العسكرية والرعية وعوامل الفلاحين

فلاحي الضياع ومواشي الجلابيين والعرب الفلاحين الشيء الكثير ، الذي لا يحصى ، فيذكر ، للـــــــحاجة الى الرعي بها ، والسكون الى الهدنة المستقرة ، ووقع من المندوبيين لحفظهم من الاتراك تقصير ، فانتهزوا الفرصة ، واستاقوا جميع ما وجدوه وأفقروا أهله منه ، مع ما أسروه من تركمان وغيرهم ، وعادوا ظافرين غانمين أثميين ، والله تعالى في حكمه يتولى المكافأة لهم ، والادالة منهم ، وما ذلك عليه بعزيز ...

ودخلت سنة إثنين وخمسين وخمسمائة

وفي يوم الثلاثاء الثالث عشر من ربيع الأول ، توجه المولى نور الدين أدام الله ايامه الى ناحية بعلبك ، لتفقد أحوالها وتقرير أمر المستحفظين لها ، وتواصلت الأخبارية اليه من ناحية حمص وحماة باغارة الأفرنج الملاعين على تلك الأعمال ، واطلاقهم فيها أيدي العيث والفساد ، والله تعالى يحسن الادالة منهم ويعجل البوار عليهم ، والاهلاك لهم ...

وفي يوم الأحد الخامس عشر من شهر ربيع الأول ، ورد المپشر من المعسكر المنصور برأس الماء ، بأن نصره الدين أمير ميران ، لما انتهى اليه خبر الأفرنج الملاعين بأنهم قد أنهضوا سرية وافرة العدد من أبطالهم (١٨٤) والموفورة العدد الى ناحية بانياس لتوليها وتقويتها بالسلاح والمال ، اسرع النهضة اليهم في العسكر المنصور ، وقد ذكر ان عدتهم سبعمائة فارس من أبطال الاستبارية والسرجنديّة والداوية ، سوى الرجالة ، فأدركهم قبل الوصول الى بانياس ، وقد خرج اليهم من كان فيها من حماتها ، فأوقع بهم ، وقد كان كمن لهم في مواضع كمناء من شجعان الأتراك ، وجالت الحرب بينهم ، واتفق اندفاع المسلمين بين أيديهم في أول المجال ، وظهر عليهم الكمناء فأنزل الله نصره على المسلمين وخذلانه على المشركين ، فتحكمت من رؤوسهم ورقابهم مرهفات السيوف ، بقوارع الحمام والحتوف ، وتمكنت من اجسادهم مشرعات الرماح وصوارم السهام ، بحيث لم ينج منهم الا القليل ممن ثبته الأجل ، وأطار قلبه الوجل ، وصاروا بأجمعهم بين قتيل وجريح ومسلوب وأسير وطريح ، وحصل في أيدي المسلمين من خيولهم وعدد سلاحهم وكراعهم وأموالهم وقراطيسهم

وأسراهم ، ورؤوس قتلاهم ، مالا يعد كثره ، ومهقت السيوف عامة رجالتهم من الأفرنج ، ومسلمي جبل عامل المضامين اليهم ، وكان ذلك يوم الجمعة الثالث عشر من شهر ربيع الأول ، ووصلت الأسرى والرؤوس من القتلى والعدد الى البلد المحروس ، وفي يوم الاثنين تاليه ، وأطيف بهم البلد ، وقد اجتمع لمشاهدتهم الخلق الكثير ، والجسم الغفير ، وكان يوما مشهودا مستحسننا ، سرت به قلوب المؤمنين ، وأحزاب المسلمين ، وكان ذلك من الله تعالى ذكره وجل اسمه ، مكافأة على ما كان من بغى المشركين ، واقدامهم على نكث ايمان المهانة مع المولى نور الدين ، أعز الله نصره ، ونقض عهود الموادعة ، واغارتهم على الجشرات ومواشي الجلايين والفلاحين المضطرين الى المرعى في الشعراء ، لسكونهم الى الأمن بالمهانة ، والاغترار بتأكيد الموادعة وكان قد انفذ المولى نور الدين الى بعلبك جماعة من أسرى المشركين ، فأمر بضرب أعناقهم صبيرا « ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم » (١٥٩) « وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون (١٦٠) » .

وتبع هذا الفتح المبين ، ورود البشرى الثانية من أسد الدين ، باجتماع العدد الكثير اليه من شجعان التركمان ، وأنه قد ظفر من المشركين بسرية وافرة ، ظهرت من معاقلهم من ناحية الشمال ، فانهزمت ، وتخطف التركمان منهم من ظفروا به ، ووصل اسد الدين الى بعلبك في العسكر (١٨٤ ظ) من مقدمي التركمان وأبطالهم للجهاد في أعداء الله المشركين ، وهم في العدد الكبير والجسم الغفير ، واجتمع بالملك العادل نور الدين في يوم الاثنين الخامس والعشرين من شهر ربيع الأول ، من السنة ، وتقررت الحال على قصد بلاد المشركين لتدويخها واقامة فرض الغزو والجهاد لمن بها ، والابتداء بالنزول على بانياس ، والمضايقة لها ، والجهاد في افتتاحها ، والله يسهل ذلك بلطفه ويعجله بمعونته .

ووصل نور الدين الى البلد المحروس في يوم الخميس السابع والعشرين من شهر ربيع الاول ، لتقرير الامر في اخراج آلات الحرب ، وتجهيزها الى العسكر بحيث يقيم اياما يسيرة ، ويتوجه في الحال الى ناحية العساكر المجتمعة من التركمان والعرب للجهاه في الكفرة الاضداد ، والله يسهل الادالة منهم ، ويعجل البوار والهلاك لهم ، ان شاء الله تعالى .

وفي وقت وصوله شرع في انجاز ماوصل لاجله ، وامر بتجهيز مايجتاج اليه من المناجيق والسلاح الى العسكر المنصور ، بالبناء في البلد المحروس ، في الغزاة والمجاهدين ، والاحداث والمتطوعة من فتيان البلد والغرباء ، بالتاهب والاستعداد لمجاهدة الافرنج اولي الشرك والالحاد ، وبادر بالمسير في الحال الى عسكره المنصور ، مغذا غير متلوم ، ولا متريث في يوم السبت انسلاخ شهر ربيع الاول ، وتبعه من الاحداث والمتطوعة والفقهاء والصوفية والمتينين العدد الكثير الدثر المباهى في الوفور ، والكثرة فالله تعالى يقرن آراءه وعزماته بالنصر المشرق المنار ، والظفر باخراب المرنة الكفار ، ويعجل لهم اسباب الهلاك والبوار ، بحيث لاتبقى لهم باقية ، ولايرى لهم رائحة ، ولاغاية ، وماذلك على الله تعالى القادر بعزيز .

ولما كان يوم السبت السابع من شهر ربيع الاخر ، تالي اليوم المقدم ذكره ، عقيب نزول الملك العادل نور الدين على بانياس في عسكره المنصور ، ومضايقته لها بالمنجنيات والحرب ، سقط الطائر من العسكر المنصور بظاهر بانياس ، يتضمن كتابه الاعلان بورود المبشر من معسكر اسد الدين بناحية هونين في التركمان والعرب ، بأن الافرنج خذلهم الله انهضوا سرية من اعيان مقدميهم وابطالهم ، تزيد على مائة فارس سوى اتباعهم ، لكبس المذكورين ظنا منهم أنهم في قل ، ولم يعلموا أنهم في ألوف ، فلما بذوا منهم وثبوا اليهم كالليوث الى فرائسها ، فاطبقوا عليهم بالقتل والاسر

والسلب ، ولم يفلت (١٨٥ و) منهم الا اليسير ، ووصات الاسرى ، ورؤوس القتلى ، وعندهم من الخيول المنتجة والطوارق والقنطاريات الى البلد في اليوم الاثني تالي اليوم المذكور ، وطيف بهم فيه فسرت القلوب بمشاهدتهم ، واكثروا الشكر لله على هذه النعمة المتسهلة ، بعد الاولى المتكلمة ، والله المأمول لتعجيل هلاكهم وبوارهم ، وما ذلك على الله بعزيز ، وتلوه هذه الدوهبة الجديدة سقوط الطائر من المعسكر المحروس ببانياس في يوم الثلاثاء يتلو المذكور ، بذكر افتتاح مدينة بانياس قهرا ، على مضي اربع ساعات من يوم الثلاثاء المذكور عند تناهي النقب ، واطلاق النار فيه ، وسقوط البرج المنقوب ، وهجوم الرجال فيه ، وبذل السيف في قتل من فيه ، ونهب ما حواه ، وانهزام من سلم الى القلعة وانحصارهم بها ، وأن اخذهم بمشيئة الله تعالى لا يبطله ، والله يسهله ويعجله .

واتفق بعد ذلك للافضية المقدرة أن الافرنج تجمعوا من معاقلهم ، عازمين على استنقاذ الهذري ، صاحب بانياس ، ومن معه من أصحابه الافرنج الحصوريين بقلعة بانياس ، وقد اشرفوا على الهلاك ، وبالفوا في السؤال للامان للمولى نور الدين ، ويسلمون ما في ايديهم من القلعة ، وما حوته لينجو سالمين ، فلم يجيبهم الى ما سألوه ورغبوا فيه ، فلما وصل ملك الافرنج في جمعه من الفارس والراجل من ناحية الجبل على حين غفلة من العسكريين النازلين على بانياس لحصارها ، والنازل على الطريق لمنع الواصل اليها ، اقتضت السياسة الاندفاع عنها ، بحيث وصلوا اليها واستخلصوا من كان فيها ، فعين شاهدوا ما عم بانياس من خراب سورها ، ومنازل سكانها ، يذسوا من عمارتها بعد خرابها ، وذلك في ايام من العشر الاخير من شهر ربيع الآخر .

وفي يوم الاربعاء التاسع من جمادى الاولى سقطت الاطيار بالكتب من المعسكر المحروس النوري ، تنضم من الاعلام بأن الملك

العادل نور الدين ، أعز الله نصره ، لما عرف أن معسكر الكفرة
الافرنج على الملاحه بين طبرية وبانياس ، نهض في عسكره المنصور
من الأتراك والعرب ، وجد في السير ، فلما شافهم ، وهم
غارون ، وشاهدوا راياته قد أظلتهم ، بادروا بلبس السلاح
والركوب ، وافترقوا أربع فرق ، وحملوا على المسلمين ، فعند ذلك
تـرجل (١٨٥ ظ) الملك نور الدين ، وتـرجلت معه
الابطال ، وأرهبوهم بالسهم وخرصان الرماح ، فما كان الا كلا
ولا ، حتى تزلزلت بهم الأقدام ، وبهمم البوار والحمام ، وأنزل
الله العزيز القهار نصره على الأولياء الأبرار ، وخذلانه على المرءة
الكفار ، وتمكنا من فرسانهم قتلا واسرا ، واستأصلت السيوف
الرجالة ، وهم العدد الكثير ، والجـم الغفير ، ولم يفلت منهم على
ماحكاه الخبير الصادق غير عشرة نفر ، ممن ثبطه الأجل ، وأطار
قلبه الوجـل ، وقيل ان ملكهم لعنهم الله فيهم ، وقيل انه في جملة
القتلى ، ولم يعرف له خبر ، والطلب مجـده ، والله المعين على
الأظفار به ، ولم يفقد من عسكر الاسلام سوى رجلين أحدهما من
الابطال المذكورين ، قتل أربعة من شجعان الكفرة ، وقتل عند
حضور اجله ، وانتهاء مهله ، والآخر غريب لايعرف ، فكل منهما
مضى شهيدا ، مثابا مأجورا ، رحمهما الله ، وامتلات ايدي
العسكرية من خيولهم ، وعندهم وكراعهم ، وأثاث سوابهم الشيء
الذي لا يحصى كثرة ، وحصلت كنيستهم في يد الملك نور الدين بالآتهم
المشهوره ، وكان فتحا من الله القادر الناصر عزيزا ، ونصرا
مبينا ، أعز الله بهما الاسلام وأهله ، وأذل الشرك وحزبه .

ووصلت الاسرى ورؤوس القتلى الى دمشق ، في يوم الأحد تالي
يوم الفتح ، وقد رتبوا على كل جمل فارسين من أبطالهم ، ومعهما
راية من راياتهم مذشورة ، وفيها من جلود رؤوسهم بشعرها
عده ، والمقد مـون منهم ، وولاية المعامل والأعمال ، وكل واحد منهم
على فرس ، وعليه الزربية والخونة وفي يده راية ، والرجالة من
السرجنية والدركبولية (١٦١) كل ثلاثة وأربعة وأقل وأكثر في

حبيل ، وخرج من أهل البلد الخلق الذي لا يحصى لهم عدد ، من
الشيخ والشبان والنسوان والصبيان ، لمشاهدة ما منح الله تعالى
ذكره ، كافة المسلمين ، من هذا النصر المشرق الأعلام ، واكثروا
من التسييح ، وماصلة التقديس لله تعالى مولى النصر
لاولياته ، ومديلهم من أعدائه ، وواصلوا الدعاء الخالص للملك
العادل نور الدين ، المحامي عنهم ، والمرامي دونهم ، والثناء على
مكارمه ، والوصف لحاسنه ، ونظم في ذلك أبيات في هذا المعنى
وهي : (١٨٦ و) .

مثل يوم الفرنج حين علتهم
ذلة الأسر والبلا والشقا

براياتهم على العيس زفوا
بين ذل وحسرة وعناء

بعد عز لهم وهيبة ذكر
في مصاف الحروب والهيجاء

هكنا هكنا هلاك الاعادي
عند شن الاغارة الشعواء

شؤم أخذ الجشار كان وبالا
عمهم في صباحهم والمساء

نقضوا هدنة الصلاح بجهل
بعد تأكيدها بحسن الوفاء

فلقوا بغيرهم بما كان فيه
من فساد بجهلهم واعتناء

حمى الله شملهم من شتات
بمواضى تفوق حد المضاء

جزاء الكفور قتل وأسر
وجزاء الشكور خير الجزاء

فلرب العباد حمد وشكر
بائث مع تواصل النعماء

وشرع في قصد أعمالهم لتملكها وتدويخها ، والله المعين والمدوفق لذلك
بمنه ولطفه ومشيتته

وفي العشر الثاني من جمادى الآخرة
تواصلت (٨٦ ١ ظ) الأخبار بوصول ولد السلطان مسعود في
خلق كثير للنزول على أنطاكية ، وأوجبت الصورة تقرير المهانة بين
الملك العادل نور الدين وملك الأفرنج ، وتكررت المراسلات
بينهما ، والاقتراحات والمشاجرات ، بحيث فسد الأمر ، ولم يسفر
على ما يؤثر من الصلاح ، ومرضى الاقتراح المقرون
بالنجاح ، ووصل الملك العادل نور الدين ، أعز الله نصره الى مقر
عزه ، في بعض أسكره ، في يوم السبت الخامس والعشرين من
جمادى الآخرة من السنة ، وأقر بقية أسكره ومقدميه مع
العرب ، بأزاء أعمال المشركين ، خذلهم الله

قد تقدم من ذكر الملك العادل نور الدين في نهوضه من دمشق في
أسكره الى بلاد الشام ، عند انتهاء الخبر اليه ، بتجمع أحزاب
الأفرنج خذلهم الله ، وقصدتهم لها ، وطمعهم فيها ، بحكم ما حدث
من الزلازل والرجفات المتتابة بها ، وماهدمت من الحصون
والقلاع والمنازل في أعمالها وثغورها ، لعمابتها ، والذبي
عنها ، وايناس من سلم من أهل حمص وشسيزر ، وكثير

- ٥١٦٠ -

طاب ، وحماة وغيرها ، بحيث اجتمع اليه الخلق الكثير ، والجسم
الغفير ، من رجال المعامل والأعمال ، والتركمان ، وخيم بهم بإزاء
جمع الأفرنج في الأعداد الدثرة ، والتناهي في الكثرة بالقرب من
أنطاكية ، وحصرتهم بحيث لم يقدر فارس منهم على الأقدام على
الافساد

وبدلت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة

وأولها يوم الاثنين أول المحرم ، والطالع الجدي ، وفي أوائل تناصرت الأخبار من ناحية الأفرنج ، خذلهم الله ، والمقيمين في الشام ، في مضايقتهم لحصن حارم ، ومواظبتهم على رمية (١٩١ و) بحجارة المناجيق الى أن أضعف ، وملك بالسيف ، وتزايد طمعهم في شن الغارات في الأعمال الشامية ، واطلاق الأيدي في العيث والفساد ، في معاقلتهم وضياعها ، بحكم تفرق العساكر الإسلامية والخاف الواقع بينهم باشتغال الملك بعقاييل المرض العارض له ، والله المشيئة التي لاتدافع ، والأقضية التي لاتمانع

وفي يوم الأحد التاسع من شهر ربيع الآخر من السنة ، برز الملك العادل نور الدين من دمشق الى جسر الخشب في العسكر المنصور بآلات الحرب ، مجدا في جهاد الكفرة المشركين ، وقد كان أسد الدين قبل ذلك عند وصوله في من جمعة من فرسان التركمان غار بهم على أعمال صيدع وماقرب منها ، فغنموا أحسن غنيمة وأوفرها ، وخرج اليهم ماكان بها من خيالة الأفرنج ورجالتها ، وقد كمذوا لهم فغنمواهم ، وقتل أكثرهم ، وأسر الباقون ، وفيهم ولد المقدم المولى حصن حارم ، وعادوا سالمين بالأسرى ، ورؤوس القتلى ، والغنيمة لم يصب منهم غير فارس واحد فقد ، والله الحمد على ذلك والشكر .

.... وورد الخبر من العسكر الحروس بأن الأفرنج خذلهم الله ، تجمعوا وزحفوا الى العسكر المنصور ، وأن المولى نور الدين نهض في الحال في العسكر ، والتقى الجمعان ، واتفق أن عسكر

الاسلام حدث (١٦٢) لبعض المقدمين فشل ، فاندفعوا وتغسروا بعد الاجتماع ، وبقي نور الدين ثابتا بمكانه ، في عدة يسيرة من شجعان غلمانه ، وأبطال خواصه ، في وجه الأفرنج ، وأطلقوا فيهم السهام ، فقتلوا منهم ، ومن خيولهم العبد الكثير ، ثم ولوا منهزمين خوفا من (١٩٢) كمين يظهر عليهم من عسكر الاسلام ، ونجى الله وله الحمد نور الدين من بأسهم ، بمعونة الله تعالى له ، وشدة بأسه ، وثبات جأشه ، ومشهور بشجاعته ، وعاد الى مخيمه سالما في جماعته ، ولام من كان السبب في اندفاعه بين يدي الأفرنج ، وتفرق جمع الأفرنج الى أعمالهم .

وراسل ملك الأفرنج في طلب الصلح والمهانة ، وحرص على ذلك ، وتردبت المراسلات بين الفريقين ، ولم يستقر حال بينهما ، واقام العسكر المنصور بعد ذلك مدة ، ثم اقتضى الرأي السعيد الملكي النوري ، الانكفاء الى البلد المحروس ، فوصل اليه في يوم (١٦٣) من شعبان من السنة ٥٠٠٠ .

وفي يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شهر رمضان من السنة ، وصل الحاجب محمود المسترشدي (١٦٤) من ناحية مصر بجواب ما تحمله من المراسلات من الملك الصالح متولي امرها (١٩٢ ظ) ، ومعه رسول من مقدمي امرائها ، ومعه المال المنفذ برسم الخزانة الملكية النورية ، وأنواع الاثواب المصرية والجياد العربية ، وكانت فرقة من الأفرنج خذلهم الله قد ضربوا لهم في المعابر فأظفر بهم ، بحيث لم يفلت منهم إلا القليل النزر ، ثم تلا ذلك ورود الخبر من العسكر المصري ، بظفره بجملته وافرة من الأفرنج والعرب تناهز أربعمئة فارس ، وتزيد على ذلك ، في ناحية العريش من الجفار ، بحيث استولى عليهم القتل والأسر والسلب ، وكان فتحا حسنا ، وظفرا مستحسنا ، والله المحمود على ذلك المشكور . . .

وكانت الاخبار قد تناصرت من ناحية القسطنطينية ، في ذي

الحجة من السنة ببروز ملك الروم فيها ، في العدد الكثير ، والجـم
الفير ، لقصد الأعمال والمعاقلة الإسلامية ، ووصوله الى مـروج
الديباج ، وتخييمه فيها ، وبت سراياه للاغارة على الأعمال
الانطاكية وما والاها ، وأن قوما من التركمان ظفروا بجماعة
منهم ، هذا بعد ان افتتح من اعمال (١٦٥) لاوين ملك الارمن عدة
من حصونه ومعاقله ، ولما عرف الملك العادل نور الدين هذا ، شرع
في مكاتبة ولاة الأعمال والمعاقل ، باعلامهم ما حدث من (١٩٣ و)
الروم ويبعثهم على استعمال التيقظ ، والتأهب للجهاد
فيهم ، والاستعداد للنكايه بمن يظفر منهم ، والله تعالى ولي النصر
عليهم ، والاظفار بهم ، كما جرت عوائده الجميلة في
خذلانهم ، والاظهار عليهم ، ورد بأسهم في نعورهم ، وهو تعالى
على ذلك قدير ...

ودخلت سنة اربع وخمسين وخمسائة

....وقد كان وصل من ملك الروم رسول من معسكره ، ومعه هدية اتحف بها الملك العادل ، من اذواب نيباح ، وغير ذلك وجميل خطاب ، وفعال (١٦٦) وقوبل بمثل ذلك ، وعاد اليه في اواخر صفر من السنة ، وحكي عن ملك الأفرنج ، خذله الله ان المصالحة بينه وبين ملك الروم ، تقرر ، والمهانة انعقدت ، والله يرد بأس كل واحد منهما الى نحره ، ويذيقه عاقبة غدره ومكره ، وما ذلك على الله بعزيز....

ووردت اخبار من ناحية ملك الروم بن اعتماده على انطاكية ، وقصد المعقل الاسلامية ، فبادر الملك العادل نور الدين بالتوجه الى البلاد الشامية ، لايناس اهلها من استيحا شهم من شر الروم والأفرنج ، خذلهم الله ، فسار في العسكر المنصور ، صوب حمص وحماة وشيزر ، والاتمام الى حلب الى ان اقتضت الحال ذلك ، في يوم الخميس الثالث من شهر ربيع الاول من السنة (١٩٤ ظ) وفي ليلة الاحد الثاني والعشرين من شهر ربيع الاول من السنة ، وافت في انتصافه زلزلة هائلة ماجت اربع موجات ، ايقظت النيام ، وازعجت اليقظى ، وخاف كل ذي مسكن مضطرب على نفسه ، وعلى مسكته ، ثم

وفي جمادى الاولى من السنة ، في اوله تناهت الاخبار المبهجة ، من ناحية العسكر المنصور الملكي النوري بأعمال حلب ، بتواصل الأمراء المقدمين ، ولاة الاعمال ، المجاهدة في احزاب الكفرة الضلال من الروم والأفرنج ، لقصد الاعمال الاسلامية ، والطمع في تملكها ، والافساد فيها والحماية لها من شرهم ، والذب عنها من مكرهم ، في التناهي في الكثرة ، والاعداد

الدثرة ، ففضى الله بحسن لطفه بعباده ، ورحمته ، ورافته ببلائه ، ان سهل للعزائم المنصورة الملكية النورية ، من صائب الرأي والتدبير ، وحسن السياسة والتقرير ، وخلوص النية لله تعالى ، وحسن السريرة ، بحيث المهاندنة المؤكدة ، والموادعة المستحكمة بين العادل نور الدين وملك الروم ، ما لم يكن في الحساب ، ولا خطر ببال ، بحيث انتظمت الحال في ذلك ، في عقد السداد ، وكنه المراد ، بحسن رأي ملك الروم ، ومعرفته بما تؤول اليه عواقب الحروب ، وتيسر الأمل المطلوب ، بعد تكرار المراسلات ، والاقتراحات في (١٩٥ و) التقارير ، وأجيب ملك الروم الى ما التمسه من اطلاق مقدمي الأفرنج المقيمين في حبس الملك نور الدين ، واندفعهم بأسرهم ، وما اقترحه اليه ، وحصلولهم لديه ، وقابل ملك الروم هذا الفضل ، بما يضاويه ، أفعال عظماء الملوك الاسداء ، من الاتحاف بالأثواب اليبياج الفاخرة ، المختلفة الأجناس الوافرة العدد ، ومن جوهر نفيس ، وخيممة مسن اليبياج ، لها قيمة وافرة ، وما استحسن من الخيول الجبلية ، ثم رحل عقيب ذلك في عسكره من منزله ، عائدا الى بلاده ، مشكوراً محموداً ، ولم يؤذ احداً من المسلمين في العشر الأوسط من جمادى الأولى سنة اربع وخمسين وخمسمائة ، فأطعمت القلوب بعد انزعاجها وقلقها ، وأمنت عقيب خوفها وفرقها ، فله الحمد على هذه النعمة حمد الشاكرين .

من تاريخ العظيمي

سنة أربع وثمانين وأربعمائة

.... وجاءت بالشام زلزلة ، خربت سور أنطاكية
وكنائسها ، وظهر في أساس السور طلسم الفرنج في جرن

سنة ست وثمانين وأربعمائة

... ومنع أهل السواحل حجاج الفرنج والروم العبور إلى بيت
القدس ، وانتشر الخبر ممن سلم إلى بلادهم بذلك ، فتأهبوا
للغزاة ، واتصلت الأخبار إلى السواحل وبلاد المسلمين كلها

سنة تسع وثمانين وأربعمائة

... وكتب ملك الروم الكس إلى المسلمين يعلمهم بظهور
الفرنج

سنة تسعين وأربعمائة

ظهرت أساطيل الفرنج الى ميناء القسطنطينية في ثلاثمائة الف ، وملوكهم ستة ، وعاهدوا ملك الروم ان يسلموا اليه اول معقل يفتحونه ، فما وفوا له بذلك ، وواقعهم الدانشمند وابن سليمان ، وأحرقوا بين ايديهم المعقل ، وسدوا المناهل فهلك منهم خلق عظيم ، وفتحوا كل ما عبسوا : نيقية والثغور والدروب ، ونزلوا على أنطاكية آخر شوال ، وحصروها ثمانية أشهر وكانت الواقعة بين الفرنج و (قلج أرسلان) بن سليمان بن قطلмыш في رجب وكسروه ، وتحولوا (الى) بغراس ، ثم الى حصار أنطاكية .

سنة إحدى وتسعين وأربعمائة

فتح الأفرنج أنطاكية ، سلمها اليهم الزراد فيروز أصله أرمني مسيحي ، وانهزم صاحبها يغي سفان منها فعات في الطريق من العطش ، وتسلم الأفضل بيت المقدس في شوال من ايدي بني ارتق ، واجتمع من المسلمين الخلق العظيم مع دقاق وطفتكين وكربوقا ووثاب بن محمود وجناح الدولة في اربعمائة الف ، فوجدوا أنطاكية قد فتحت قبل وصولهم اليها ، فنزلوا عليها وحصروها وخلصوا من السويدية خلقا من الأسرى ، وخرج اليهم الفرنج وهم في الغاية من الضعف ، والمسلمون في القوة ، فانكسر المسلمون لسوء نياتهم في رجب ، وقد ملك أنطاكية من الفرنج البيمند .

سنة اثنتين وتسعين واربعمئة

فتح الفرنج معرة النعمان في الحرم ، وتحولوا الى كفرطاب ، ثم الى حماه فلم يقدروا عليها ، ثم تحولوا الى القدس ففتحوها من ايدي المصريين وملكها الكتفري ، واحرقوا كنيسة اليهود ، ونزلت عساكر مصر مع امير الجيوش الافضل فكسره الافرنج

سنة ثلاث وتسعين واربعمئة

غارت المياه ، وجلا الخلق من الشام ، ... وتسلم الملك دقاق ميافارقين ، وتواقع بيمند والبانمشند فاسر بيمند ، وحصرت افامية ، وكسرت الفرنج الملك رضوان على كلا في شعبان .

سنة اربع وتسعين واربعمائة

فتح سكرمان بن ارتق سروج وكسره الفرنج ، وأغار الكندفري ملك القدس على عكا فأصابه سهم فقتله وملك بعده القدس أخوه بغدوين ... وتسلم دقاق وطغتكين جبلة في شعبان وكسروا الفرنج ، وقتل سعد الدولة صاحب عسقلان في ذي القعدة ، وفتحت الفرنج حيفا ، وكسر بغدوين دقاق ، ومات الملك دقاق بدمشق واستولى عليها طغتكين أتابك والتاش وكسر جناح الدولة رضوان على سمرين ، وفتحت الفرنج قيسارية بالسيف في رجب ، واشترى البيمند نفسه من الأسر .

سنة خمس وتسعين واربعمائة

.... وخرج للفرنج اسطول ثان وكسره قلع ارسلان بن قطلمش والدانشمند وأسروا بيمند ثانية ، وسلم ابن الصليحة جبلة الى طغتكين فولى بها ولده تاج الملوك ، ومات وثاب بن محمود في مصياث ، ونزل صنجيل في عسكره على طرابلس يحاصرها وعمر عليها حصنا وأطال حصارها ، وتسلم جبلة القاضي ابن عمار فخر الملك ، وفتحت انطربوس في جمادى الآخرة ، ونزل القواس في عساكر مصر وكسرت الفرنج وقتل في الواقعة

سنة ست وتسعين واربعمائة

قتل جناح الدولة صاحب حمص بجامعها في رجب قتله جماعة في زي الصوفية وملكها بعده قراجه الحاجي ، وكانت وقعة القطار في شعبان وأوقع سكرمان بن ارتق وجكرمش بالفرنح واستدرجهم في برية القطار وسدوا في طريقهم المناهل ثم عطفوا فقتلوا من الفرنج الخلق العظيم ومات الباقون عطشا ، ومات المستعلي خليفة مصر وجلس موضعه الأمر بأحكام الله ، ونزلت عساكر مصر الى عسقلان وكسروا بغدوين وحصروه بالرملة فكسر وخرج منها ونجا ، ووصل للفرنج أسطول ثالث ملا الساحل ، وفتح قلج أرسلان الرحبة من يد الجاولي ، وتسلم الملك رضوان حصن ارتاح ، وتسلم ملك الروم الكس لاذقية . وعبر سكرمان بن ارتق في عشرة الاف فارس ليفرج عن طرابلس فمات في الطريق بالمناظر . وأوقع قلج أرسلان بجكرمش وكسره ، وتسلم الموصل ، وأخذ منه بغدوين والجوسلين كانا اسيرين بها ، وفتح في طريقه حران ، وعاد الى ملطية واستنجد سقاوه بالملك رضوان وبایلغازي بن ارتق ، والتقوا قلج أرسلان على الخابور ففرق قلج أرسلان في النهر وانهزم عسكره وأخذ الجاولي سقاوه الموصل ، وباع بغدوين والجوسلين بستين الف دينار ، وقبض رضوان على نجم الدين ايلغازي واعتقله بحلب مدة ثم انصلح امره معه ، وملك التاش دمشق وخافه اتابك طفتكين فانهزم الى بعلبك وفتحت الرحبة في جمادى الآخرة .

سنة سبع وتسعين واربعمائة

فتح الفرنج جبيل بالأمان وعكا بالسيف وعمروا مدن الساحل الخراب كلها ، وركب البيمنند البحر يستجد الفرنج ، ونزل اسطول مصر وحصر يافا ، ورحل عنها ، وقسوى طرابلس وعسقلان ، وعادوا الى مصر ، ومات الملك دقاق في رمضان واستولى عليها طغتكين .

سنة ثمان وتسعين واربعمائة

كسر الفرنج الملك رضوان على ارتاح ، وقتلوا من المسلمين عشرة آلاف ، وفتحوا حصن ارتاح ، ومات صنجيل الفرنجي محاصرا طرابلس وولي العسكر والحصار ابنه بعده ، وكسر اتابك طغتكين الفرنج وفتح بعلبك ، وفتح رفينه وهدم ابرجتها وتحول الى حمص ، والتقت عساكر مصر والفرنج وatabك طغتكين وقتل الخلق العظيم ولم يكن كسره على احد الفريقين .

سنة تسع وتسعين واربعمائة

..... وقتل التعليمية لابن ملاعب في قلعة افامية ، وملكوها
وحصرتهم الفرنج بها حتى فتحوها منهم بالامان ، وعمرؤا حصنا
بناحية طبرية ففتحها اتابك طفتكين وقتل كل من كان فيه وحمل
الرؤوس الى دمشق ، وفي هذه السنة تسلم بصرى .

سنة خمسمائة هجرية

فتح الجاولي سقاوه الرحبة ، وفتح الفرنج افامية ، واشترى
البيمند نفسه من ابن الداشمند ثلاثة وتسلم الجاولي الموصل .

سنة احدى وخمسمائة

اوقع السلطان بصدقة بن ديبس ونهب الحلة وحمل رأسه الى بغداد وعاد السلطان الى بغداد ، وحصر بغدوين صدور وعمر مقابلها حصنا ، وفتح مودود الموصل من يد الجاولي ، وخرج من طرابلس القاضي فخر الملك وولي فيها عمه ابو المناقب فعصى فيها فقبضوا عليه وحملوه الى حصن الخوايمي وتولى اصحاب القاضي الامور ، وسار القاضي وتاج الملوك الى بغداد ووزر ابو النجم الاصفهاني لتاج الملوك ، ووقع اتابك طغتكين بالقومص جرفاس صاحب طبرية ، وتزوج نجم الدين ايلغازي بن ارتق بخاتون بنت جناح الدولة ، وقتل برقة علي بن سالم بن مالك قتله منصور بن جوشن ، واخت المقتول زوجة القاتل ، ونزل من مصر وال لقبه شرف الدولة اتى بالقوة والغلة والعدة فأخذوا ذلك منه ، وقبضوا عليه ،

سنة اثنتين وخمسمائة

ماتت زوجة الملك رضوان ، وفتح الجاولي سقاوة بالاس ، وفتح الفرنج طرابلس ثاني نبي الحجة بعد حصار سبع سنين ، وفتح اقسنقر البرسقي الرحبة واجتمع (هو) واتابك دمشق وكسروا فرنج طرابلس ، وفتح طنكريد حصن بلاناس وسلمه الى المازوير ، وفتحت جبلة بالامان واخذوا لاذقية بالامان من الروم ، وبخل ابن عمار دمشق ، ومات بدمشق بوري خان وعضب الدولة ابق .

سنة ثلاث وخمسمائة

فتح الفرنج بيروت بالسيف ، وفتح طنزكريد حصن بكسراثيل ،
وهجم ربض الاثارب وفتحوا القلعة تسليما ، وظهر في السماء في
الفلك الشمالي كوكب بنذب قصير مات لاجله كل ذي نذب حتى
السمك في الماء ، ورعى مودود زرع الرها ، فخرج الفرنج اليه
وكسروه ، وقتلوه سقاوه ، وهرب ابن سكران من عسكر السلطان ،
وقتل ابن عمه ، وانكسر المسلمون على اللكمية تاسع عشر رجب ،
وتمسلم اتابك طغتكين بعلبك من الخدم في شهر رمضان .

سنة أربع وخمسمائة

فتح الفرنج صيدا ، ورعى الاتراك زرع الرها ، ونقض الملك
رضوان هدنة الفرنج واغار على انطاكية ، فخرج الفرنج واغاروا
على حلب وفتحوا الاثارب كما تقدم ، وتوفي الكيا الهراس .

سنة خمس وخمسمائة

فتح الفرنج المرقب ، ومات قراجه صاحب حمص ، ووليها ابنه
خير خان في جمادى ، ونزلت عساكر الشرق بظاهر حلب ، وغلق
الملك رضوان في وجوههم باب حلب ومات منهم خلق ، وتخطف منهم
كذلك ، ومات فيها سكران القسطنطيني واختلفوا وعادوا الى الشرق ،
وبخل تاج الملوك قلعة دمشق .

سنة ست وخمسمائة

مات طنكريد ، وولي انطاكية بعده ابن اخته روجال ، وحصرت الفرنج صور فاستنجد اهلها بطغتكين ، ونفر الفرنج اليه فخرج اهل صور واحرقوا البرج ونهبوا بعض الخيم ، فرحلت الفرنج عنها وبخلها اتابك طغتكين وتسلمها من عز الملك وولى عليها مسعود .

سنة سبع وخمسمائة

مات الملك رضوان بحلب وملكها ابنه تاج الدولة الاخرس ولولو الخادم اتابك في جمادى ، وسار الى دمشق بعد ان قتل جماعة من غلمان ابيه وخدمه ، وبخل دمشق في رمضان ، وعاد الى حلب ومعه اتابك دمشق وصاحب حمص خير خان بن قراجا الحاجي ، وقتل له اخوان ، ووصل من الشرق مودود وكسر مع طغتكين الفرنج على طبرية ، وبخل دمشق فوثب عليه رجل لايعرف بجامع دمشق فجرحه جرحا موثقا ، فمات ليوم من ربيع الاخر ، ووثب صاعد بن بديع رئيس حلب على الباطنية بحلب وقتل منهم جماعة مالا منهم السجون ، وقتا من مقدميهم جماعة صبيرا ، ووثبوا على قلعة شيزر ونصر اهلها عليهم فقتلوهم ، وعزل عن وزارة حلب ابو الفضل بن الموصل ووزر ابو الرجا بن السرطان ، وتولى نظر الديوان عبد القاهر بن المنذر ، واستقرت الموصل لتقسيم الدولة اتابك اقسذقر البرسقي .

سنة ثمان وخمسمائة

فتح المصريون مدينة صور بعد الحصار الشديد برا وبحرا ، وقتل تاج الدولة بقلعة حلب وولي الملك بعده اخوه سلطان شاه في ربيع الآخر ، وجاءت بالاشام زلزلة عظيمة خربت القلاع واسود الجو قبل الزلزلة ، ومات كرد صاحب حماه ، وقبض لؤلؤ الخادم على ابن السرطان الوزير واعاد الوزارة الى ابن الموضوع وقبض خير خان على نجم الدين بن ارتق . وتسلم اتابك طفتكين دمشق ابرجة ريفية من شمس الخواص ، وتوفي شمس النهار (١) .

سنة تسع وخمسمائة

عبرت عساكر الشرق الفرات ونزلوا وادي بزاعة ، ثم دانيث ونهض العسكر لغرض فأوقع الفرنج بالثقل فنهبوه وعاد العسكر الى الشرق ، وكسفت الشمس في برج الاسد في صفر ، وقتل احمديل في بركاه السلطان ببغداد في المحرم ، وخرج من تدمر منية بن عوصة سلخ رمضان ، ومات برسق بن برسق ، ومدح مهذب الملك ابو الحسين بن منير الاطرابلسي تاج الملوك بدمشق بقوله :
جرى بمرادك الفلك المدار
ونخل رسول السلطان وعاد الى دمشق وهجم ربح حمص بنفسه .

سنة عشر وخمسمائة

خرج لؤلؤ الخادم لزيارة صفين ، فقتله الوشاقية عند قلعة (بير) حافر (٢) ، وتسلم اتابكية حلب يارقتاش الخادم شهورا وولي الاتابكية ابو المعالي ابن الملحي الدمشقي السلمي

سنة احدى عشرة وخمسمائة

تسلم الفرنج قلعة القبة وهاندوا حلب ، وطمع البرسقي اقسنقر في حلب ، فقاربها ولم يتم له امر فعاد ، وانخسف القمر وهجم الفرنج ليلة الخسوف ربض حماه ، وقتلوا جماعة من اهلها وعاد الناس عليهم بالسيف فأخرجوهم عنفا ، ومات دوقس انطاكية ، وبخل نجم الدين بن ارتق حلب ثم انفسد حاله ، فخرج منها ، ورهن ولده تمرتاش ، ومات بدمشق السلار بختيار ،

واجتمع نجم الدين وطغتكين للغزاة وافترقا ، واجتمع طغتكين والبرسقي اقسنقر وكسرا الفرنج على البقاع ، وسار اتابك الى عسقلان في صفر ، واغار بغدوين ملك القدس على اطراف نيار مصر وعاد فمات بالقدس بجرح انتفض عليه ، وعبر وسيق هذه الاجيدة على باب عسقلان مع اربعين فارسا ، فخرج اليهم عسكري عسقلان الخيل والرجال فكسروهم الاربعون وعبر الوسيق سالما ، وملك القدس بعده البغدوين بن الكند صاحب الرها ، ومات ملك الروم الكس وملك موضعه ابنه كليان ، وجاء سيل غرق بينجار ، وفتح روجال حصن بلاطس ، وقبض سلطان شاه ملك حلب علي ابن الملحي ، وحدثت زلزلة

سنة اثنتي عشرة وخمسمائة

وكسر الجوسلين لاتابك دمشق بالسواد ، وجالت عساكر الفرنج شهرا وافترقوا ، وفتح روجال صاحب انطاكية قلعة عزاز في شهر رمضان ، وفتح الفرنج قلعة السن وقتلوا بها منيع بن عطير النميري ، واستامن اليهم مقلد بن شرف الدولة والملك تكش ، ورواية اخرى ان ملك الروم مات في هذه السنة ، وناذى الناس بشعار نجم الدين بن ارتق وشرق اليه ابن الخشاب ، وعاد صحبة العساكر الارتقية ، ونزلوا قبلي حلب في سنة ثلاث عشرة ، وقتل مساعد بن بديع وولدها بقلعة دوسر ، واكل الجراد غلة الشام والجزيرة واعقب الغلاء ، وفتح الافرنج حصن تل الفراق من يد زنكي بن قراجه الحاجي صاحب حمص ، وكسر المسلمون بوادي المقتول ، وكسر مري بن ربيعة الفرنج كسرة عظيمة .

سنة ثلاث عشرة وخمسمائة

اوقع نجم الدين وابن حسام الدولة بافرنج انطاكية على تل
عفرين بحيث لم يفلت من الفرنج احد ، قال العظيمي : عملت قصيدة
انخي فيها نجم الدين على لقاء الفرنج منها :

الا ابلغ طغاة الشرك انك اخذ

بثاراتنا منهم عليها فرايد

وانهم لم ينج منهم مخبر

بحيث احاطتهم لديك المصايد

فكان الامر والله كما ذكرت ، وقال الشعر لا يكذب ، فلم يفلت من
الفرنج دون العشرة مجرحين ، فلما وصلوا انطاكية ماتوا ، ولم
يقتل من المسلمين الا دون العشرة ، وتسلم نجم الدين قلعة
الاثارب ، وحصر قلعة زرينا وفتحها ، وخرج الفرنج في جمع اخر
والتقوا نجم الدين على دانيث فكانت وقعة عجيبة هلك اكثر الفرنج
وماتوا ، وكسفت الشمس في المحرم وضرب الشط برد عظيم ،
وكسر الفرنج بالسواد واسر الكبير اللحية فقتله اتابك ، وقبض على
القاضي ابن عمار وصودر وحوسب ، وجاء سيل اهلك ارمينية
واعمالها .

سنة اربع عشرة وخمسمائة

رفع نجم الدين مكوس الشام وزاد المكوك والرطل والذراع ،
واخرب قلعة زرينا وقلعة الشريف بحلب ، واقمع بك بن ارتق
بغفراس الرومي ، وولى رئاسة حلب مكي بن قرناص الحموي ،
وظهر من البحر ابن اخت ملك الفرنج وتغلب على اكثر البلاد ، وقتل
مقبل بن حسام النميري لابن عمه منصور بن جوشن في قلعة نجم
وملكها

سنة خمس عشرة وخمسمائة

هجم الافرنج ربض الاثارب ، وحصروا منبج ، وهاندوا نجم
الدين ، وظهر ملك الكرج داود واجتمع عليه السلطان طغرل ونجم
الدين ودييس فكسره ، وقتل الافضل امير الجيوش بمصر ، وعصا
شمس الدولة بحلب على ابيه نجم الدين ، فغف اليه ابوه وقبض
عليه وكحل مكي بن قرناص وحاجبه ناصر ، وعمر الافرنج قلعة
زرينا ودير الاثارب ، وكبسوا حلب فأوقع بهم عسكر حلب ، وظفروا
بهم وفتح بغدوين خناصره واخربها وبرج سبنا ، وولى رئاسة حلب
الرئيس سلمان العجلاني ، وخرج الكرج ثانية فكسره طغرل وفتح
الكرج تفليس بالسيف ، وهبت بمصر ريح سوباء ثلاثة ايام اهلكت
خلقا ...

واخرب الافرنج حصن جوشن وكسره اتابك على كفر رحر ...

سنة ست عشرة وخمسمائة

... وهانن نجم الدين الفرنج وشرق الى ماردين ، ومات وزير حلب ابو الفضل بن الموصل ، وبخل السيل قلعة جعبر ، وعبر نجم الدين الفرات وابن اخيه بك وعزل عن الوزارة ابا الرجاء بن السرطان ، وحصر زرينا وخرج اليه الفرنج فرحل اليهم فلم يكن لقاء ، ثم عاد الى زرينا فعاد الفرنج اليه ، فرحل الى الفنيديق ونزلوا نواز ، وهجموا ريبض الاثارب فاخربوه ، وبها يوسف الحرامي ، ونزلوا زرينا ثم دانيث ، ثم تفرقوا وعاد نجم الدين نزل زرينا وهمدم احواشها ، وعاد الفرنج خرجوا الى الدير فرحل اليهم ثانية فلم يكن لقاء فمرض فدخل يتداوى ، وأغار دولات بن قطلمش على بلاد اعزاز فقتله كليام صاحب عزاز ، واسر بك البغدوين في صفر واسر الجوسلين في رجب سنة سبع عشرة ، واستعاد المصريون مدينة صور ، وقبضوا بها (واليها سيف الدولة مسعود) (٣) ووليها القائد طلائع ، وولي قلعة حلب بدر الدولة بن ارتق ، ووقع بك بالفرنج على سروج واسر الجوسلين وكليام ، وعاد السيل نخل قلعة جعبر فأخرب الربض ، ومات نجم الدين بميافارقين وملكها ولده سليمان ، وملك ولده تمرتاش ماردين ، وحصر الفرنج بالس ، ورحلوا عنها ، وفتحوا حصن البيرة ، وفتح حسان صاحب منبج حصن المجدد

سنة سبع عشرة وخمسمائة

... وسلم بدر الدولة قلعة الاثارب الى الافرنج وصالحهم ، وحصر حصن الكركر ، وكسر الفرنج على قنطرة صنجة واسر البغدوين ملك انطاكية وحبسه في جب خرتبرت مع الجوسلين ، وهجم طغتكين ربض حمص ونهض اليه ابن حسام الدولة الاحدب ، وصالح بينه وبين خيرخان ورحله عنها ، وحصر بك حلب وفتحها في جمادى ، وتسلم القلعة من يد عمه بدر الدولة وصعد اليها ، وخرج لوقته ونزل عين سيلم وفي ربيع (الاول) تسلم حران واستوزر بك بحلب ابا الرجاء بن السرطان ، ونزل مسعود الى صور من مصر في سرية فأوقع بهم كليان الفرنجي وكسرههم ، واوقع اسطول البنادقة باسطول مصر ففرق منه في سمت تديس عدة من المراكب ، واوقع بك بأسقف البارة واسره ، وهجم الحصن وتحول الى كفرطاب ، ووثب في خرتبرت الافرنج الاسرى وملكوا البغدوين فيها ، وخرج الجوسلين منها متذكرا ثاني جمادى الاخرة ، فجمع العساكر وبلغ بك ذلك ، وفي الليلة التي وثب فيها الفرنج في خرتبرت هرب من عسكري بك اسقف البارة ، وخلص وخف بك الى خرتبرت فحصرها وفتحها واعاد الاسرى الى الجب ، واخرب مشاهدها فظهر الجوسلين في الافرنج وعبر بظاهر حلب ، وعاد خائبا لانه وجد القلعة قد استعادها صاحبها ، وقبض بك على رئيس حران بركات بن ابي الفهم ، وهجم الفرنج ربض قلعة الجسر ، واخذ المسلمون عليهم الخائض ، ففرق منهم الخلق العظيم ، وهجم محمود بن قراجة صاحب حماة ربض افامية فضرب في عضده بسهم فمات منه ، وتسلم حماة زوجة المتوفي وسلمتها الى ابيها طغتكين بن ابي (٤) وتدير مذهب الدولة فولها للحاجب اسرائيل وعاد الى دمشق ، وتسلم مدينة صور من المصريين .

وظهر قطا اكثر من الجراد فاكل كل غلات الشام ، وقبض القاضي
ابو الفضل بن الخشاب كنادس حلب وحولها مساجد للصلاة ،
وحدثت زلزلة وغارت المياه بأنطاكية حتى جفت بساتنيها ، وحصر
الفرنج مدينة صور في نبي الحجة ، وعرس بك بخاتون بنت الملك
رضوان وجدد حصون الشام الخراب ، وسار علي بن حامد من
دمشق رسولا الى مصر .

سنة ثمان عشرة وخمسمائة

جلس على رئاسة حلب محمد بن سعدان الحراني وعزل عنها سلمان العجلاني ، وعبر في شيزرا عصار ربيع قلعت الاشجار وتم الى حماة ثم الى الرصافة ، فحمل من رملها الاحمر رمى به قلعة دوسر ، وقيل قلعة جعبر ، وفتحت البنادقة مدينة صور في جمادى الاولى وفتحت بعد الحصار الشديد برا وبحرا ، واحتبس المطر بالشام كانونين وشباط ، وتلف الزرع ثم تدارك الغيث فزرع الناس واستوى الزرع وحصدوا واستغلوا ، وفتح ذلك حصر (مبيج) (٥) المجدد وقبض على حسان ، وهجم ربصر مبيج وحصر الحصر وخرج الفرنج اليه والجوسلين فكسروهم . وعاد الى مبيج ظافرا فضربه سهم من الحصن فقتله وتفرق العسكر ، وملك ابر عمه تمرتاش حلب وحمله معه فدغنه بحلب ، وملك خرتبورت شمس الدولة ابن نجم الدين وتزوج زوجة بك ، وملك داود بن سكرمان بن ارتوق بالو ، وتواقع داود بن سكرمان القطبي وابن حسام الدولة فانكسر طغان وحصرت بدليس ، ووزر حلب ابو محمد بن الموصل وعزل عن رئاسة حلب الحراني ورأسها فضائل بن بديع الحلبي ، وقبض تمرتاش على سلطان شاه بن ملك رضوان وحبسه بماربين فهرب منها الى داود ، وقتل بحلب الرئيس سلمان العجلاني ، وباع تمرتاش الملك بغدوين باموال ومعاملة بواسطة بني منقذ وسلمه اليهم ، وقبض على الوزير ابن الموصل وصادره . واستورر لها ابا الرجاء بن السرطان ، فلما خلع بغدوين غدر بالهنة وجمع الفريج وحصر حلب ، وكان تمرتاش خرج منها ، ومات احوه شمس الدولة فاشتغل بملك بلاده عن حلب ، وطال حصارها واجتمع عليها ثلاث رايات ، الملك بغدوين ، وديس بن مزيد ، وسلطان شاه بن ملك رضوان ، فهض لنصرة حلب قسيم الدولة اق سنقر البرسقي ، وقد

- ٥١٨٧ -

ابل من مرضه ، فوصل حلب في ذي الحجة ورحل الفرنج عنها وملكها
ونزل في العساكر بمجمع المروج ، وقال العظيمي المؤرخ عبرت
بالعسكر عند عودتي من دمشق ومدحت البرسقي بقولي
عصمت العواصم ان تهتضم

سنة تسع عشرة وخمسمائة

مات بدمشق طرخان الشيباني ، وفتح كفرطاب البرسقي فسلمها الى صاحب حمص ، ونزل عزاز يحاصرها ومعه طغتكين اتابك ، فخرج الفرنج اليه وكسروه عليها ، ووصل الفل ، وقتل بحلب القاضي ابو الفضل بن الخشاب ، وشرق البرسقي وهابن الفرنج وعزل عن حلب سوتكين ، ووليها ابو بكر بن طلحاس ونخل البرسقي الموصول وatabك دمشق ومات بقلعة دوسر صاحبها سالم بن مالك ، ووليها ولده شهاب الدين بن مالك ، وقتل بغاسغان ببالس داعي الخليفة رافع ، وانكسر المسلمون على شرخوب من عمل دمشق في ذي الحجة .

سنة عشرين وخمسمائة

تسلم الفرنج ريفية ، وتسم بهرام بانياس ، وتسلم طغتكين تدمر وكسر الفرنج ، وعبر البرسقي الفرات وحصر الاثارب ، وظهرت الفرنج فرحل عنها الى حلب وطغتكين الى دمشق ، وعزل ابو بكر عن ولاية قلعة حلب وولاها الخادم كافور ، وعزل ووليها مسعود بن البرسقي ، وشرق البرسقي الى الموصل فقتل في جامعها رحمه الله ، وكسفت الشمس وظهر في الفلك كوكب بنوب ، وولي تدمر محمود بن تاح الملوك ، وجدد لبهرام بدمشق دار دعوة ، ونزل اسطول مصر قوى عسقلان ، وعاد الى اسكندرية وظهر من البحر البيمند ومعه اسطول افرنج امتلت منه البلاد ، وتزوج بنت البغدوين ملك القدس ، ووقع بين الكرج ، وتغلب على الملك رجل من غير بيت الملك ، ووقع مسعود ملك قونية بابن الدانشمند واخذ عورة القسطنطينية ، وخرج مسعود بن البرسقي الى الموصل فملكها ، وسلم النميريون قلعة نجم الى حسان صاحب منبج ، ومات طراد بن وهيب امير عرب الجزيرة ، ووقع بمصر الأمر بفلامه امير الجيوش محمد المأمون البطائحي واخيه ، اتهمه انه أمر يانز الموفق بفضده بمبضع مسموم ، فوشى به اليه فسلم إليه موضعه .

سنة احدى وعشرين وخمسمائة

• • وأوقع البغدوين بوادي موسى وسبى اهله ، وولي قلعة تومان ووصلت سرية لتقوية حلب فمنعهم تومان الدخول ووقع بينه وبين رئيس حلب فضائل بن بديع وناخلهم إليها ، ووصل الى حلب ختلغ أبة غلام السلطان محمود ومعه توقيع مسعود بحلب ، فلم يقبله تومان ، وعاد ختلغ به الى الرحبة وعليها مسعود يحاصرها وقد نزل إليه واليها ، فوجه قدمات فجاة ، فندم على التسليم وعاد ختلغ ابه على فوره إلى حلب فتسلمها من يد تومان آخر جمادى ، وتغير على الناس فتعصبوا عليه ثاني العيد ، وقبضوا على رجاله وحصلوه في قلعة حلب والمقدم عليها بحلب بدر الدولة وفضائل بن بديع ، وقصد حلب ملك انطاكية والجوسلين فصانعوه على مال فضايقوا القلعة ، فاحرق القصر وبخل المدينة الملك ابراهيم بن رضوان ، وكان اتابك عماد الدين قسيم الدولة بخل الموصل مالكا بتوقيع السلطان في عاشر رمضان من هذه السنة المباركة ، فبعث إليه شهاب الدين مالك فاعلمه بذلك فسير إليها سرية ، وبخل الأمير صلاح الدين فأصلح الحال ، ونزل إليه ختلغ أبة وصعد الى اتابك الى القلعة .

ابتداء ملك الشام للدولة الاتابكية العمادية القسيمية

سنة اثنتان وعشرين وخمسمائة

وصل اتابك الى حلب ، وصعد القلعة المعمورة يوم الاثنين سابع عشر جمادى الاخرة والطلع فيها ذكروا السنبله وقبض على ختلغ ابه ، وسلمه الى ابن بديع فكحله بداره وهرب إلى قلعة ابن مالك هاربا « خائفا يترقب » كما قال الله تعالى ، وولي رئاسة حلب الرئيس صفى الدين ابو الحسن علي بن عبد الرزاق العمادي العجلاني فسلك مع الناس اجمل طريقة ، وفي هذه السنة مات اتابك دمشق سابع صفر ، وماتت زوجته خاتون أم تاج الملوك وقتل بهرام الداعي مقدم وادي التيم ، وقرر الوزير علي المزدقاني على وزارة دمشق .

سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة

تسلم بيمند حصن القدموس ، ووقع اهل وادي التيم ببهرام
الداعي فقتلوه وكل من معه ، وولي حصن بانياس اسماعيل وضعف
عن حفظه فسلمه إلى الفرنج ، ووطيء أتابك بساط السلطان وعاد
بالتواقيع السلطانية بملك المغرب كله ، وبجل الموصل سالما ، ووقع
صاحب حصن كيفا بالجوسلين ومهر به بباب الرها ، ووقع الامير
سيف الدين شجاع الدولة سوار بن ايتكين بعسكر كفر طاب
فاستاصلهم وقط شوكتهم وبخل إلى حماة بالقلايع والرؤوس
والاسارى ، فبعثت أمنحه بالقصيدة التي اولها .

أبت عزمات جدك أن تسامى

وجل علو قدرك أن يراما

ومات سير الان صاحب الاثارب ، ووقع تاج الملوك بدمشق
بوزيره أبي علي المزدقاني ، فقتله وعاشت العامة فقتلوا خلقا من
الباطنية وحماه ايضا . ووصل الى الساحل أسطول الفرنج وبلغهم
ضعف دمشق فنزلوها وحصروها في الامم العظيمة ، ونهض منهم
للعلوفة صنابيد العسكر ومعهم من الكراع والرجالة ما شاء الله ،
فنهض اليهم الامير سيف الدين سوارومرى في سرية الاتراك والعرب
فاوقع بهم وقتلهم باسرههم ، ولم ينج منهم الا القليل ووصل من
الناجين من خبر العسكر ، فرحلوا عن دمشق هاربين واحرقوا أكثر
الذقل ، وعاد سيف الدين بالوسيق والكراع والاسرى والرؤوس ،
فبعثت إليه أمنحه بالقصيدة التي اولها :

نأت من سليمان بعد قرب نيارها

واقوت مغانيها وشط مزارها

سنة اربع وعشرين وخمسمائة

في اولها كسر الامير سيف الدين الفرنج ، ورحلهم عن دمشق ، ومات بها ابن الاكفاني وابن الفيصل ، وأغارت الكرج ، فواقع بهم عسكر السلطان واسترد الغنائم ، وفتح اتابك قلعة السن ورعى عسكره زرع الرها وعبر الفرات إلى حلب ، وأوقع الدانشمند بالبيمند فقتلوه كان مغيرا على بلد تروس بن رويال ، ووزر دمشق الوجيه ابن الصوفي ، وتزوج اتابك بنت الملك رضوان ، ووصل الى دمشق رسول الخليفة والسلطان ابن الحنبلي ، وعاد اليها شجاع الدولة ابن الصوفي كان رسولا بمصر ، واستوحش سيف الدين سوار من خدمة تاج الملوك فورد حلب الى خدمة اتابك عماد الدين ، فآكرمه وشرفه وخلع عليه واجرى له الاقطاعات الكثيرة واقطعه شحنكية حلب واعمالها ، ووصل إليه من حماه (٦) سونج بن تاج الملوك للخدمة فقبض عليه وعلى جميع عسكره ، وخف الى حماه ، فملكها في شوال وقبض على خير خان ، وخف الى حمص فهجم الى ريبضا وامتنعت القلعة فحصرها وهجم الشتاء فعاد الى حلب في نبي الحجة ، وملك انتاكية زوجة البيمند بنت الملك بغدوين ، وأخرجت أباهما من انتاكية ووقع بين الفرنج ، وهجم المسلمون ريبض الاثارب وريبض معرة

سنة خمس وعشرين وخمسائة

شرق أتابك الى الموصل ، وملك البغدوين أنطاكية وأخرج الملكة الى الساحل ، وأجلس الطفلة بدار الملك ، وعاد الى القدس ، وكسر الجوسلين لسيف الدين بالشمال وقتل من أصحابه جماعة ، فعملت فيهم قصيدة اولها :

فداؤك من تخطفه الحمام

وصاحبك السلامة والدوام

... وهجم سيف الدين ربض الاثارب ونهبه ، ووقع بين الملك مسعود وأخوته بقونية ، ونكب عسكر دمشق على حصن السويق ، وملك أهل بهراء حصن بكسراثيل من يد المازوير ، ووثب على تاج الملوك رجلان من جند القلعة فجرحاه فقتلها ، ووصل ديبس الى الشام وادع ابن السلطان لنجم الدولة مالك واسند الى الفرنج ، وفتح اتابك قلعة بهمرد ، وسار ديبس نحو صاحبة صلخد ليتزوج بها ، فاضافه مكتوم بن حسان بن مسمار بالحلة ، وأبطن الى تاج الملوك وقيل بالاتفاق ، فخرج إليه عسكر دمشق ، فقبضوا على ديبس وادخلوه الى دمشق ففادى به تاج الملوك ابنه سونج الاتابك ، فدخله منه وسار لوقته مشرقا الى الموصل في شوال واجتمع الى أتابك ولدا السلطان محمود : الب ارسلان وفروخشاہ ، ووقع بابن الانباري رسول المسترشد بارض الرحبة ونهبت القافلة الواصلة ، ومات الملك بغدوين وجلس موضعه صهره كليام ، ومات الجوسلين ، وملك بعده الشمال ولده .

سنة ست وعشرين وخمسمائة

فتح الملك كليام رام حمدان ، ومات والي قلعة حلب علي جكل وولي مكانه قراجه السعدي ، ووقع عسكري أنطاكية بعسكر طرابلس ، وتواقع أتابك وقراجه الساقي على المعشوق ، ومات غازي صاحب أرزن ، ومات كليام ملك القدس ، ومات تاج الملوك واستولى ولده شمس الملوك اسماعيل على دمشق ، ورعى عسكري سيف الدين زرع حمص ، وعزل عن وزارة دمشق ابن الصوفي ، ووزرها كريم الملك المزدقاني وفتح قومص طرابلس حصن سلمية ، وقتل بقمص برغش لمولاه عين الدولة بن خير خان ، فوثب عليه اخوه ابن خير خان فقتله وملك القلعة

سنة سبع وعشرين وخمسمائة

وقع بين الفرنج حتى قتل بعضهم بعضا وقتل صاحب زردنا ، وتغلب التركمان على بلد المعرة وكفر طاب وقسموا المغلات ، واجتمع الفرنج وهزموهم عن البلد ، وفتحوا حصن القبة ، واسروا منه حريم ابن ملاعب بنت سالم بن مالك واخربوا الموضع ، ووقع الامير ابن الدانשמند بقافلة القسطنطينية فاخذ منها ملكا ، ووقع الامير سيف الدين سوار بافرنج تل باشر ، وقتل منهم خالقا ومدحته بقصيدة اولها :

تقلد النصر واشدد خالفك العذبا

لايرجع الله في شيء اذا وهبا

- ٥١٩٦ -

وقتل قومص طرابلس رئيسها ، وقبض صاحب دمشق علي مري
واسامة فخلص اسامة بمال ، وهلك مري ، واشتري ابو الفتح
الداعي من ابن عمرون حصن القدموس

سنة ثمان وعشرين وخمسمائة

وصل الملك الفلك بن الكند صاحب القدس الى انطاكية ، وجمع وظهر الى نواز ثم قدسرين وكسروا اوائل عسكر حلب ، وقتلوا ابا القاسم التركماني و ابا العلاء بن الخشاب ، والامير خليفته وشاهنشاه بن بك ، وتحول الفرنج الى النقرة فصاحبهم سيف الدين سوار والعسكر فاوقعوا بسرية منهم فقتلوهم ، وعادوا برؤوس وقلائع فسر الناس من يومهم عوض ما ساءهم من امسهم ، وعاد الملك الى انطاكية وصادر اهلها وغير الدوقس ، ووقع فيها ايضا حسان صاحب منبج وسيف الدين بخيل الرها الفريريه وهي متغيرة ببلد الشمال عابرة الى العسكر فقتلوهم باسرههم وحملوا الرؤوس والقلائع الى حلب من يد صلاح الدين كان قد عصا فيها وولاها شمس الخواص وقتل صاحب دمشق جماعة من عمومته واخوته ، واغارت العرب على دمشق فاستحضر صاحب دمشق مري فضرب عنقه ، ووصل حسام الدين الى خدمة اتابك وسار معه للقاء داود بن ارتق فكسره بباب آمد ، وحصرها فصانعه صاحبها بمال فرحل عنها الى قلعة الصور ففتحها ، واغار سيف الدين على الجزر وحصن زرينا وشحن المعرتين ، ووقع بالفرنج على حارم ، وعاد بالوسيق الى حلب ، واغار على زرينا ووقع هناك بسرية من الفرنج ومات ايلغازي بن الدايشمند وملك موضعه ابنه ، واستوزر اتابك الوزير ضياء الدين ابا سعيد الكفرتوثي وحصر اتابك دمشق مدة ثم رحل عنها الى حلب ثم شرق الى الموصل

سنة تسع وعشرين وخمسمائة

تواترت غارات التركمان على بلاد الروم ، وكثر السبي واحتبس
الغيث شهرين وتدارك ، وانخسف القمر في ربيع الاول بيسرج
السرطان وتلك الليلة مات شهاب مالك قلعة دوسر ، ومالك موضعه
ابنه بدران وعاد اتابك الى الشام وفتح حماه وردها الى
صلاح الدين وعاد الى الموصل ، وقتل الرئيس الوجيه ابن الصوفي
بدمشق ، وظهر ملك الروم

سنة ثلاثين وخمسمائة

وعاد اتابك الى الموصل

سنة احدى وثلاثين وخمسمائة

ظهر ملك الروم من القسطنطينية واغار ملك انطاكية على بلد لاون بن اخي بسيل الارمني ، واسر لاون وادخله انطاكية ، واستولى ابنه على موضعه ومعاقله وكاتب الروم ، فكان أكد لخروجه ، وخلص لاون بمال وعاد الى بلاده وعبر اتابك الفرات وخيم بباب حلب رابع وعشرين شهر رمضان ، وخرج ملك انطاكية الى ملك الروم وعاد الى انطاكية ، واقبل اتابك الى نحو حماه ، وعيد في الطريق ، وقصد حمص ثاني شوال ، واخذ من حلب خمسمائة رجل لحصار حمص ، وخرج الفرنج نجدة لحمص وغيلة لآتابك ، فرحل عن حمص ولقيهم تحت قلعة بعيرين فكسرتهم طلائع آتابك ، وفيها سيف الدين سوار فاجهز عليهم وحصرهم بالمناجيق حتى خربت القلعة فاستقر الحال على ان يفرج عنهم ، وياخذ القلعة ففعل وتسلم بعيرين وعاد الى حلب وتمت الهدنة بين آتابك وصاحب دمشق ، وتزوجت خاتون به على يد الفقيه برهان الدين البلخي ، ووقع سيف الدين بسرية من الروم فقتل واسر ، وأدخل الاسرى الى حلب ، وفتح حسام الدين تمر تاش قلعة الهتاخ ، وشرع الحلبيون في عمارة اسوار حلب وخنادقها ، ودخل آتابك على خاتون بنت جناح الدولة بحلب ، وقبض على الوزير جمال الدين ابي الحاسن ، واستامن اليه الامير علي بن وفاء الكردي من عند الفرنج

سنة اثنتان وثلاثين وخمسمائة

ورد رسول ملك الروم على اتابك وهو بالقبلة ، فرده ومعه هدية الى ملك الروم فهودا وبزاة وصدقورا ، واقتبل نحو دمشق وجرى من اهل حلب ثمان مائة راجل للخدمة ، واقتبل نحو البقاع وفتح المجدل واقام بعين الجر ، وعاد الحاجب حسن من عند ملك الروم وهو يحاصر بلاد لاون ، وشتى اتابك بارض دمشق ، وورد عليه رسول السلطان والخليفة بالتشريف ، وقبض الفرنج على بطرك انطاكية ونهبوا داره وعولوا على نصب بطرك الروم وعادوا عن ذلك وهم ملك انطاكية بالتسليم الى ملك الروم فمنعه من ذلك الرجالة البرجاسية ، وخيم اتابك على حمص وجرى من حلب رجالها لحصارها وفض الفرنج مدينة حلب ، وشتى السلطان مسعود ببغداد ، وهجم اتابك ربح حمص ونصب المناجيق على القلعة ، واقتبل القاضي بهاء الدين الى العسكر .

ذكر ظهور الروم

وانضاف الفرنج الى ملك الروم ، وظهر بغتة من طريق مدينة البلاط يوم الخميس الكبير ، ونزل يوم عيد النصارى على حصن بزاعة ، وانتشرت الخيل بغتة فما احس الناس الا برجل من كافر ترك ومعه جماعة قد تاهوا عن عسكر الروم ، فعرف الناس بظهور الملك واظهر انه مستامن فكانه كان من الملائكة فتخبر الناس وبلغ الخبر اتابك فرد الرجالة الى حلب والامير سيف الدين معه خمسمائة فارس في اربعة من الامراء الاصفهسلارية ، فقويت نفوس الناس ، وذلك في سابع عشر من رجب يوم المبعث ، وحصرت بزاعة

سبعة ايام وفتحوها يوم السبت خامس وعشرين رجب بالامان ، وغدر باهلها واسرهم واقام الملك بالوادي عشرة ايام ، يبخن على مغائر الباب ، ورحل الى الناعورة ، ثم الى حلب في سادس شعبان ، وضرب خيمة قبلي حلب على نهر قويق ، وقاتل حلب يوم الثلاثاء ورحل يوم الاربعاء ثامن شعبان مقتبلا ، وخاف من الاثارب من الجند ، فانهزموا منها ليلة الخميس ، واحرقوا خزائنها فحف اليها سرية من الروم والفرنج ومعهم سبي بزاعة والوادي ، فملكوا القلعة والجؤا السبي الى خنادقها واحواشها وهرب منهم قوم الى حلب فاعلموهم بذلك ، فنهض اليهم الامير فخلصوا السبي جميعا الا من كان قد اطلع الى القلعة ، فردهم الى حلب ما مقداره الف روح ، فكان ما عم الناس من امر الاثارب شيء للفرجة بخلاص السبي ، ورحل اتابك من حماة الى سلمية في يوم الاثنين ثالث عشر شعبان ، ورحل الملك عن بلد المعرة مقتبلا ، وهرب جند كفرطاب منها ، ونزل الروم شيزر يوم الخميس سادس عشر شعبان ، وقاتلوا وهجموا ربضها .

وأوقع اتابك بسرية منهم وسيف الدين بسرية اخرى بأطراف (بعرين) ونصبوا المناجيق على قلعة شيزر ، واشتد الحصار وتحولوا الى تل ابي معشر ، وعبر الفرات ابن داود بن ارتق في عشرين ألف فارس نجدة للمسلمين ، فبلغ الروم ذلك وقد هاجموا ربض شيزر دفعات عدة ، والله تعالى يعطي النصر للمسلمين عليهم ، فرحلوا عنها سحرة السبت تاسع رمضان فكانت مدة الحصار ثلاث وعشرين ليلة ، وبخلوا مضيق افامية ثم انطاكية ، وسير اتابك وراءهم سرية من العسكر تتخطفهم ، هذا كله واتابك لم يستحضر ابن داود ، ولم يجتمع به بل بعث اليه يأمره بالعود الى ابيه وأنه مستغن لم يلتفت اليه ، وتسلم اتابك قلعة حمص يوم الثلاثاء وبخلها يوم الخميس ثالث عشر شوال ، وهزم الفرنج على باب اطرابلس يوم السبت تاسع وعشرين شوال ، وأوقع الامير سيف الدين بسرية داخلية الى الاثارب باقامة في العشر الاخير منه ، ونهض اتابك الى بلد عرقة ، وعاد الى

القدس (٨) واجتمع بخساتون زمرد ، وصلت اليه مسر دمشق ، واجتمع عنده رسل ملوك الأرض ، ولبس التشريف الواصل اليه مع ابن الأنباري بظاهر حلب ، ومات ابن حسام الدولة الأحديب ، وملك ابنه قرتي بدليس وأعمالها وخرج اليه السلطان سلجوك فكسره قرتي ورده على عقبه .

سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة

..... وخرج من حلب جريئة رجالة برسم خدمة ركاب اتابك الى الشرق وفتح دارا ورأس العين ، وغلا سمر بلاد الروم ، وظهر بالشام جراد عظيم ، وضرب الشط برد عظيم الى أرض حران في شهر رمضان ، وعبر اتابك الفرات ووطى الشام ، وفتح قلعة الأثارب وانقلبت قلعة الأثارب بكل من فيها ، ودامت الزلازل ، وكان يحدث دوي عظيم قبلها ثم يأتي بعده كذلك اربعة أشهر ، وقتل بدمشق صاحبها شهاب الدين ابن تاج الملوك ، وجلس بها في المملكة أخوه محمد صاحب بعلبك ، وافتتنت دمشق وقتل بها النفيس ، وانهزم منها بهرام شاه أخو المقتول الى حلب ، وشرق الى خدمة اتابك ، وعبر الأمير الحاجب صلاح الدين الفرات ، واقتبل الى بلد حماة ، وعبر اتابك الفرات ونزل بالناعورة ، وبخل حلب ورحل الى حماة سابع ذي الحجة ورحل الى حمص ثم الى بعلبك .

سنة أربع وثلاثين وخمسمائة

أولها يوم الثلاثاء سابع عشر أب حصر اتابك بعلبك وضربها بالمناجيق ، وفتح البلد يوم الاثنين رابع عشر صفر ، وفتح الحصن يوم الخميس خامس وعشرين الشهر وتواقع الياوقية والروم ونصر الله المسلمين ، وفي رمضان حدثت بالشام زلزلة ... واقام اتابك بعين الجر .

سنة خمس وثلاثين وخمسمائة

تفرق عسكر دمشق والفرنج بعد اجتماعهم ، ووقعت بحمص صاعقة على الحمام الجديد ، فاحترقت جماعة ، وانهزم الى دمشق من عسكر اتابك سنقر الجكرمشي صاحب بالس ، وبعث اتابك قبض على اولاده واسبابه ، وفي يوم السبت تاسع عشر ربيع الاول دخل اتابك حمص ، وعادت خاتون الى حلب في عشرين منه ، وبخل الى حلب رابع وعشرين جمادى الاولى ، وشرق اتابك ولقي قفجاق وكسره ، وفي شوال ظهر ابن الدانشمند الى بلاد مرعش وفتح حصنا ، وسبا اهله جوابا لفعل الفرنج ببلده مثل ذلك ، وقبض بحلب على المكين الحراني بن أبي الفهم الناظر ، وجرده من حلب ثلاثمائة راجل الى الشرق للخدمة ، وهزم الامير سيف الدين سوار الفرنج عن شيزر .

سنة ست وثلاثين وخمسمائة

أولها يوم الأربعاء سابع آب ، وكسفت الشمس ثامن وعشرين منه ، وخرج الفرنج الى بلاد سمرين وأخربوا ونهبوا ، ثم تحولوا الى جبل السماق ثم تفرقوا ، وأغار التركمان مع الأمير علم الدين ابن سيف الدين الى باب انطاكية وعادوا بالوسيق العظيم ...

وفي جمادى أغار بجة التركي على بلاد الفرنج وساق وسبي ونفر اليه نفر من الفرنج فظفر بهم ، وقتل منهم سبعمائة وعاد بالفنائم والوسيق والقلائع ، وجرد من حلب رجاله ، وأقبل ملك انطاكية الى القدس ، ونهض الأمير سيف الدين في العشر الثاني من رمضان الى بلد انطاكية وعند الجسر جمع كثير ، وخيم مضروبة وقطعة من العسكر يخطفون الأطراف ، فضاخ التركمان اليهم العاصي وكسروا هناك ، وقتلوا كل من كان بالمخيم ونهبوا وسبوا ، وعاد سيف الدين الى حلب بالوسيق العظيم والقلائع والرؤوس والأسرى ، ومات ابن الدانشمند وجلس موضعه ابنه وواثبه عمه على المملكة

سنة سبع وثلاثين وخمسمائة

فتح أتابك قلعة اشب في ثالث وعشرين رمضان ليلة القدر . ومات ملك الروم بالثغور يوم الجمعة ثاني وعشرين رمضان وهو تاسع نيسان ...

وظهر ملك انطاكية الى وادي بزاعة فنهض اليه الامير سوار فردهم الى بلد الشمال ، وأغار الجوسلين الى شط الفرات وسبى اهل عكرمة بأسرهـم تسع مائة روح ، وأخذ عورة السابورية ، ونزل أتابك مرح زعفران وعاد الى الجزيرة واجتمع الامير سيف الدين والجوسلين ببلد الشمالي في المعسسـكرين واتفق الصالح بينهما ، وكان الجوسلين وطىء بساط ملك الروم قبل موته ، واستوزر اتابك الوزير جلال الدين ابا الرضا بن صدقة ، وقبض حسام الدين على وزيره ابي الرجاء بن السرطان وقتل حذش في خيمته (٩) ، بعسكر اتابك قتله جماعة اكراد غيلة .

سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة

فتح اتابك قلعة ازدون وبعدها قلعة حيزان ، وحصرت ملطية
حصرها الملك مسعود (بياض) ووصل خبر بأن ملك الصين
مات ، وفي خامس وعشرين صفر جاءت بالاشام زلزلة
لطيفة ، واغار ت خيل باسوطا ورجالتها وسبوا كفر بسيل وسبوا
بعض اهلهما ، فنهض اليهم الامير سيف الدين فلحقهم دون العقبة
بدمشق وسبق في الطلائع علم الدين بن سيف الدين فشغلهم بالطراد
حتى تتابع العسكر فأوقع بهم ، وقلع أكثر الخيالة ، وقتل
الرجالة ، واسترجع الاجيدة وعاد بالقلائع والوسيق والرؤوس
منصورا ، وبخل السلطان مسعود بغداد ... وسقط ملك القدس عن
فرسه فاندقت عنقه ، فمات وجلس ابنه وتولته امه ، واغار
الفرنج على بلد دمشق . فساقوا وسيقا عظيما ، ولجؤوا الى
بانياس فخرج اليهم من دمشق معين الدين انر واسترجع الوسيق
بالصلح وقبض بدمشق على الامير اكز وعلى جماعته واسبابه
واستصفيت أمواله وكحل ، وعزل وزير دمشق نظام الدين ابو
الكرام ، ووزر مؤيد الدين بن الصوفي ، وقبض بقلعتها على
الحاجب عطا ، وجرده من حلب خمسمائة راجل الى الشرق ، وشتوا
بالرحبة ، وبعضهم بسننجان ، وعادوا الى حلب في ذي
القعدة ، وعاد اتابك نخل الموصل ، وفي يوم الأربعاء خامس
وعشرين ذي القعدة وقعت خيل تركمان نهضت من بلد حلب فأوقعت
بخيل خارجة من باسوطا ، فأوقعوا بهم وقتلواهم ، واسروا صاحب
باسوطا وجاءوا به اسيرا الى حلب يوم الخميس سادس وعشرين
ذي القعدة ، فسلموه الى سيف الدين فقيده ... والى هذه السنة
انتهى تاريخ محمد بن العظيمي الحلبي رحمه الله .

تراجم من تاريخ دمشق لابن عساكر

أبق بن محمد بن بوري بن طفتكين اتابك ابو سعيد التركي

ولد ببعلبك ، وقدم دمشق مع ابيه محمد ، فلما مات ابوه ولي
امرة دمشق يوم الجمعة الثامن من شعبان سنة اربع وثلاثين
وخمسمئة ، وكان اتابك زنكي بن اق سنقر صاحب حلب وبعض
الشام والموصل والجزيرة محاصرا لدمشق ، فلم يصل منها الى
مقصود ، ورحل عنها ، وكان ابق صغير السن ، واستولى على امره
انر بن عبد الله ، الملقب بمعين الدين مملوك جد ابيه طفتكين ،
والرئيس ابو الفوارس المسيب بن علي بن الصوفي ، فلما مات انر
انيسطت يد ابق ، والرئيس ابو الفوارس يدبر الامور ، وبعد مدة
دبر ابق وجماعة من بطانته على الرئيس حتى اخرجه من دمشق الى
صرخد ، واستوزر اخاه ابا البيان حيدرة بن علي مسيبة ، ثم
استدعى عطاء بن حفاط السلمي الخادم من بعلبك ، وجعله مقدما
على العسكر ، وقتل ابا البيان ، ثم قبض على عطاء وقتله ، ولم
يلبث بعد ذلك الا يسيرا حتى قدم الملك العادل محمود بن زنكي بن اق
سنقر ، فحاصر البلد مدة يسيرة وسلم اليه بالامان يوم الاحد
العاشر من صفر سنة تسع واربعين وخمسمئة ، ووفى لابق بما جعل
له وسلم اليه مدينة حمص ، فأقام بها يسيرا ، ثم انتقل منها الى
بالس - مدينة بناحية الفرات - فسلمت اليه بأمر الملك العادل ،
فأقام بها مدة ، ثم توجه منها الى بغداد ، فقبله امير المؤمنين
المقتفي لامر الله ، واخرج له ديوانا كفاه ببغداد ، وقد كان قبل ان
يخرج ابق الصوفي من دمشق قد رفع الاقساط وما كان يؤخذ في الكوز
من الباعة ، وكان كريما ، ومات ببغداد .

— ارتاش بن تدهش بن الب ارسلان ويقال : ألتاش

كان اخوه دقاق قد اذفذه الى بعلبك ، فاعتقل بها ، فلما هلك دقاق في سنة سبع وتسعين راسل طغتكين اتابك ، كبشتكين التاجي الخادم والي بعلبك في اطلاق ارتاش ، فوصل الى دمشق ، فأقامه في منصب اخيه يوم السبت لخمس بقين من ذي الحجة او ذي القعدة سنة سبع وتسعين واربعمئة .

فأقام الى ان خرج منها سرا في صفر سنة ثمان وتسعين لاستشعار استشعره من طغتكين وزوجته ام الملك دقاق ، ومضى الى بغدوين ملك الفرنج ، طمعا في ان يكون له ناصرا ، فلم يحصل منه على ما امل ، فتوجه عند اليأس منه الى ناحية الرحبة ، ومضى الى الشرق فهلك .

اسماعيل بن بوري بن طغتكين

أبو الفتح ، المعروف بشمس الملوک

ولي امرة دمشق بعد قتل ابيه بوري ، المعروف بتاج الملوک ، في العشر الاخير من رجب سنة ست وعشرين وخمسمئة ، وكان شهما مقداما مهيبا ، استرد بانياس من ايدي الكفار في يومين ، وكانت قد سلمها اليهم الاسماعيلية ، واسعر بلاد الكفار بالفارات ؛ مديده الى اخذ الاموال ، وعزم على مصادرة المتصرفين والعمال ، ولم يزل اميرا على دمشق حتى كتب الى قسيم الدولة زنكي بن اق سذقر يستدعيه ليسلم اليه دمشق ، فخافته امه زمرد فرتبت له من قتله في قلعة دمشق ، في شهر ربيع الاخر من سنة تسع وعشرين وخمسمئة ، ونصبت اخاه محمود بن بوري مكانه .

– ألب أرسلان بن رضوان بن قتش بن ألب أرسلان التركي

ولي إمرة حلب بعد موت أبيه رضوان في جمادى الآخرة سنة سبع وخمس مئة وهو صبي عمره ست عشرة سنة ، وتولى تدبير أمره خادم لابيه اسمه لؤلؤ الأيا ، ورفع عن أهل حلب بعض ما كان جدد عليهم من الكلف وقتل أخويه ملك شاه ، وأميركا ، وقتل جماعة من الباطنية وكانت دعوتهم ظهرت في حلب في أيام أبيه ، ثم كاتب أمير دمشق ، ورغب في استعطافه ، فأجاب طغتكين إلى ذلك ، ودعا له على منبر دمشق في رمضان من هذه السنة . ثم قدم ألب أرسلان في هذا الشهر دمشق وتلقاه طغتكين وأهل دمشق في أحسن زي ، وأنزله في القلعة بدمشق ، وبالع في إكرامه ، فأقام بها أياما ، ثم عاد إلى حلب في أول شوال ، وصحبه طغتكين ، فلما وصل إلى حلب لم ير منه طغتكين ما يحب ، ففارقه ، وعاد إلى دمشق ، وساعت سيرة ألب أرسلان بحلب ، وانهمك في المعاصي ، وخافه لؤلؤ الأيا فقتله بقلعة حلب في ثاني ربيع الآخر سنة ثمان وخمس مئة ونصب أخاه طفلا عمره ست سنين وبقي لؤلؤ بحلب إلى أن قتل في آخر سنة عشر وخمس مئة ببالس .

دقاق بن تدهش

دقاق بن تدهش بن الب ارسلان ابو نصر المعروف بالملك شمس الملوك ولي امرة دمشق بعد قتل ابيه تاج الدولة في سنة سبع وثمانين واربعمائة ، وكان بحلب ، فراسله خادم لايه اسمه ساوتكين كان نائباً في قلعة دمشق ، سرا من اخيه رضوان بن تدهش صاحب حلب ، فخرج دقاق الى دمشق وحصل بها ، واجلسه ساوتكين في منصب ابيه : ثم دبر هو وطغتكين المعروف بأتاك، زوج ام الملك دقاق على ساوتكين فقتل .

واقام دقاق بدمشق ، وقدم اخوه رضوان فحاصرها فلم يصل منها الى مقصود فرجع الى حلب ، ثم عرض لدقاق مرض تطاول به وتوفي منه في الثاني عشر من شهر رمضان سنة سبع وتسعين واربعمائة ؛ وان امه زينت له جارية فسمته في عذقود عنب معلق في شجرته ، فذقته بآبرة فيها خيط مسموم ، وان امه ندمت على ذلك بعد الفوت ، واومات الى الجارية ان لاتفعل ، فأشارت اليه أن قد كان ، وتهرى جوفه فمات .

طغتكين اتابك دمشق

طغتكين ، ابو منصور ، المعروف باتابك ، كان من رجال (تاج)
الدولة ، وزوجه بام ابنه دقاق ، وكان مع تاج الدولة لما ذهب الى
الري لقتال ابن اخيه ، ثم رجع الى دمشق بعد قتل تاج الدولة ،
وكان اتابك دقاق مدة ولايته فلما مات دقاق استولى على دمشق ،
وكان شهما مهيبا ، مؤثرا لعمارة ولايته ، شييدا على اهل العيث
والفساد ، وامتدت ايامه الى ان مات يوم السبت السابع ، ويقال
الثامن من صفر ، سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ، ودفن عند
المسجد الجديد قبلي المصلى ...

محمود بن بوري طفتكين أتابك ابو القاسم بن ابي سعيد ، الملقب شهاب الدين

ولي امرة دمشق بعد قتل اخيه اسماعيل الملقب بشمس الملوك . وكانت أمه المعروفة بزمرد خاتون الغالبة على امره والمديرة له الى ان تزوجها اتابك زنكي بن قسيم الدولة وخرجت الى حلب فكان المدير له بعد خروجها انر المعروف بمعين الدين احد مماليك جده طفتكين .

وابتداء ولايته في شهر ربيع الاخر سنة تسع وعشرين وخمسة ، وكانت الامور في ايامه تجري على استقامة الى ان وثب عليه جماعة من خدمه في ليلة الجمعة ثالث وعشرين او رابع وعشرين من شوال سنة ثلاث وثلاثين وخمسة ، فقتلوه ، وكتب الى اخيه محمد بن بوري صاحب بعلبك ، فقدم اخر نهار يوم الجمعة وتسلم القلعة والبلد ولم ينازعه احد .

محمود بن زنكي بن اق سنقر

ابو القاسم بن ابي سعيد قسيم الدولة ، التركي ، الملك العادل نور الدين وناصر امير المؤمنين

كان جده اق سنقر قد ولاه السلطان ابو الفتح ملكشاه بن الب ارسلان حلب ، وولي غيرها من بلاد الشام ، وندشأ ابوه قسيم الدولة بعده بالعراق ، وندبه السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه ابن الب ارسلان برأي الخليفة المسترشد بالله امير المؤمنين لولاية ديار الموصل والبلاد الشامية بعد قتل اق سنقر البرسقي وموت ابنه مسعود ، فظهرت كفايته وظهرت شهامته في مقاتلة العدو - خذله الله - وثبوته عند ظهور متملك الروم ونزوله على شيزر حتى رجع الى بلاده خائبا .

وحاصر ابوه قسيم الدولة دمشق مرتين فلم يتيسر له فتحها ، وفتح الرها والمعرة وكفرطاب وغيرها من الحصون الشامية ، واستنقذها من ايدي الكفار ، فلما انقضى اجله - رحمه الله - قام ابنه نور الدين - اعزه الله - مقامه في ولاية الاسلام .

ومولده على ما ذكر كاتبه ابو اليسر شاكر بن عبد الله التدوخي المعري وقت طلوع الشمس من يوم الاحد سابع شوال سنة احدى عشرة وخمسمئة ؛ ولما راهق لزم خدمة والده الى ان انتهت مدته ليلة الاحد السادس من شهر ربيع الاخر سنة احدى واربعين وخمسمئة على قلعة جعبر ، وكان محاصرا لها ، ونقل تابوته الى مشهد الرقعة فدفن بها .

وسير صبيحة الاحد الملك الب ارسلان بن السلطان محمود بن محمد الى الموصل مع جماعة من اكابر دولة ابيه ، وقال لهم : ان وصل اخي سيف الدين غازي الى الموصل فهي له ، وانتم في خدمته ، وان تأخر فانا اقرر امور الشام ، واتوجه اليكم .

ثم قصد حلب ونخل قلعتها المحروسة على اسعد طائر وايمن بركة ، يوم الاثنين سابع ربيع الاخر ، ورتب في القلعة والمدينة الدواب ، وانعم على الامراء وخلع عليهم ، وكان ابن جوسلين قد عمل على اخذ الرها ، وحصل في البلد ، فوجه اليه امراء دولته حتى استنفذها منه وخرج هاربا .

ولما استتب له الامر ظهر منه بذل الاجتهاد في القيام بأمر الجهاد . والقمع لاهل الكفر والعناد ، والقيام بمصالح العباد ، وخرج غازيا في اعمال تل باشر ، فافتتح حصونا كثيرة ، وافتتح قلعة افامية ، وحصن البارة ، وقلعة الراوندان ، وقلعة تل خالد ، وحصن كفر لاثا ، وحصن بسر فوث بجبل بني عليم ، وقلعة عزاز ، وتل باشر ، ودلوك ، ومرعش ، وقلعة عين تاب ، ونهر الجوز ، وغير ذلك .

وغزا حصن انب فقصد البرنس متملك انطاكية ، وكان من ابطال العدو وشياطينهم ، فرحل عنها ، ولاقه دونها فكسره وقتله وثلاثة الاف فرنجي كانوا معه ، وبقي ابنه صغيرا مع امه بانطاكية ، وتزوجت ابن البرنس الاول وهو بيمنت ووقع في اسره في نوبة حارم ، وباعه نفسه بمال عظيم اذفقه في الجهاد .

واظهر بحلب السنة حتى اقام شعار الدين ، وغير البدعة التي كانت لهم في التائين ، وقمع بها الرافضة المبتدعة ، ونشر فيها مذاهب اهل السنة الاربعة . واسقط عنهم جميع المؤن ، ومنعهم من التوثب في الفتن ، وبنى بها المدارس ووقف الاوقاف ، واظهر فيها العدل والانصاف .

وقد كان صالح المعين الذي كان بدمشق وصاهره ، واجتمعت كلمتها على العدو لما آزره ، وحاصر دمشق مرتين فلم يتيسر له فتحها ، ثم قصدها الثالثة فتم له صلحها ، وسلم أهلها إليه البلد لغلاء الاسعار ، والخوف من استعلاء كلمة الكفار ، فضبط أمورها وحصن سورها ؛ وبنى بها المدارس والمساجد ، واقاض على أهلها الفوائد ، واصلح طرقها ، ووسع أسواقها ، وادر الله على رعيته ببركته ارزاقها ، وبطل منها الانزال ، ورفع عن أهلها الاثقال ، ومنع ما كان يؤخذ منهم من المغارم كدار بطيخ وسوق البقل ، وضمان النهر والكيالة ، وسوق الغنم ، وغير ذلك من المظالم ، وامر بتترك ما كان يؤخذ على الخمر من المكس ، وسهى عن شربه ، وعاقب عليه باقامة الحد والحبس ، واستنقذ من العدو - خذلهم الله - نفر بانياس ، وغيره من المعازل المنيعة كالمنيطرة وغيرها بعد الاياس . وبلغني انه في الحرب رابط الجأش ثابت القدم ، شديد الانكماش ، حسن الرمي بالسهم ، صليب الضرب عند ضيق المقام ، يقدم اصحابه عند الكرة ، ويحمي منهزمهم عند الفرقة ، ويتعرض بجهده لالشهانة لما يرجو بها من كمال السعانة .

ولقد حكى عنه بعض من خدمه مدة ، ووازره على فعل الخير ، انه سمعه يسأل الله ان يحشره من بطون السباع وحواصل الطير ، فالله يقي مهجته في الاسواء ، ويحسن له من الظفر بجميع الاعداء ؛ فلقد احسن الى العلماء وكرمهم ، وقرب المتسبين واحترمهم ، وتوخى العدل في الاحكام والقضايا ، والان كذفه واطهر رأفته بالرعايا ، وبنى في اكثر مملكته ادر العدل ، واحضرها القضاة والفقهاء للفصل ، وحضرها بنفسه في اكثر الاوقات ، واستمع من المتظلمين الدعاوى والبيانات ، طلبا للانصاف والفصل ، وحرصا على اقامة العدل .

وادر على الضعفاء والايتام الصدقات ، وتعهد ذوي الحاجة من اولي التعفف بالصلات ، حتى وقف وقوفا على المرضى والمجانين ، واقام لهم الاطباء والمعالجين ، وكذلك على جماعة العميان ، ومعلمي

الخط والقرآن ، وعلى ساكني الحرمين ، ومجاوري المسجدين ،
واكرم امير المدينة الحسين واحسن اليه ، واجرى عليه الضيافة لما
قدم عليه ، وجهاز معه عسكريا لحفظ المدينة ، وقام لهم بما يحتاجون
اليه من المؤونة ، واقطع امير مكة اقطاعا سنيا ، واعطى كلا منهما
ما يأكله هنيا مريا .

ورفع عن الحجاج ما كان يؤخذ منهم من المكس ، واقطع امراء
العرب الاقطاعات لئلا يتعرضوا للحجاج بالندس ، وامر باكمال
سور مدينة الرسول ، واستخرج العين التي باحد وكانت قد دفنتها
السيول ، ودعى له بالحرمين ، واشتهر صيته في الخاقين .

وعمر الربط والخانقاهات والبيمارستانات ، وبنى الجسور في
الطرق والخانات ، ونصب جماعة من المعلمين لتعليم يتامي
المسلمين ، واجرى الارزاق على معلميهم ، وعليهم بقدر ما يكفيهم ،
وكذلك صنع لما ملك سنجار وحران والرها والرقعة ومنبج وشيزر
وحماة وحمص وبعلبك وصرخد وتدمر ، فما من بلد منها الا وله فيها
حسن اثر . وامن اهلها احد الا نظر له احسن نظر .

وحصل الكثير من كتب العلوم ووقفها على طلابها ، واقام عليها
الحفظة من نقلتها وطلابها واربابها ، وجدد كثيرا من قني السبيل ،
وهدى بجهده الى سواء السبيل .

واجهد نفسه في جهاد اعداء الله ، وبالح في حربيهم ، وتحصل في
اسره جماعة من امراء الفرنج - خذلهم الله - كجوسلين وابنه ،
وابن الفونش ، وقومص اطرابلس ، وجماعة من ضربهم .

وكان متملك الروم قد خرج من قسطنطينية وتوجه الى الشام
طامعا في تسلم انطاكية ، فشفله عن مرامه الذي رامه بالمراسلة ،
الى ان وصل اخوه قطب الدين في جنده من المواصلة ، وجمع له

الجيوش والعساكر ، وانفق فيها الاموال والنخائر ، فأيس الرومي من بلوغ ما كان يرحو ، وتمنى منه المصالحة لعسائه ينجو ، فاستقر رجوعه الى بلاده ذاهبا ، فرجع من حيث جاء خائبا ، ولم يقتل بالشام مع كثرة عسكره مقتله ، ولم يرع من زرع حارم ولا غيرها سنبلة ، وحمل الى بيت مال المسلمين من التحف ما حمل ، ولم يبلغ امله وضل ما عمل .

وغزا معه اخوه قطب الدين في عسكر الموصل وغيرهم من المجاهدين ، فكسر الفرنج والروم والارمن على حارم ، واذاهم كؤوس المنية بالاسنة والصدورم ، فأبادهم حتى لم يفلت منهم غير الشيد الذاهل ، وكانت عدتهم ثلاثين الفا بين فارس وراجل ، ثم نزل على قلعة حارم ، فافتتحها ثانية وحواسها ، واخذ اكبر قرى عمل انطاكية وسباها ، وكان قبل ذلك قد كسرهم بقرب بانياس ، وقتل جماعة من ابطالهم ، واسر كثيرا من فرسانهم ورجالهم .

وقد كان شاور السعدي امير جيوش مصر ، وصل الى جنابة مستبيرا لما عين الذعر ، فأحسن جواره واكرمه ، واظهر بره واحترمه ، وبعث معه جيشا كثيفا يرده الى درجته ، فقتلوا خصمه ولم يقع منه الوفاء بما قرر من جهته ، واستجاش بجيش العدو ، طلبا للبقاء في السمو ، ثم وجه اليه بعد ذلك جيشا اخر ، فأصر على المسامحة له وكابر ، واستنجد بالعدو - خذله الله - فأنجدوه ، وضمن لهم الاموال الخطيرة حتى عاضدوه ، وانكفأ جيش المسلمين الى الشام راجعا ، وحدث متملك الفرنج نفسه بملك مصر طامعا ، فتوجه اليها بعد عامين راغبا في انتهاز الفرصة ، فأخذ بلبيس وخيم من مصر بالعرضة ، فلما بلغه ذلك تدخل جهده في توجيه الجيش اليها ، وخاف من تسلط عدو الدين عليها ، فلما سمع العدو - خذلهم الله - بتوجه جيشه رجعوا خائبين ، واصبح اصحابه بمصر لمن عاندهم غالبيين ، وامل اهل اعمالها بحصول جيشه عندهم وانتعشوا ، وزال عنهم ما كانوا قد خشوا ، واطلع من شاور على

المخامرة ، وانه راسل العدو طمعا منه في المظاهرة ، وارسل اليهم ليردهم ، ليدفع جيش المسلمين بجندهم ، فلما خيف من شره ومكره ، لما عرف من غدره وختره ، واندفع الامر في ذلك واستبان ، تمارض الاسد ليقتنص الثعلبان ، فجاءه قاصدا لعيادته ، جاريا في خدمته على عادته ، فوثب جورديك وبزغش موليا نور الدين فقتلا شاور ، واراحا العباد والبلاد من شره ، واما شاور فانه اول من تولى القبض عليه ، ومد يده الكريمة اليه بالمكروه ، وهذا الامر لاسد الدين وملك ، يخلعت عليه الخلع ، واخل واستولى اصحابه على البلاد ، وجرت اموره على السداد وظهر منه حميد السيرة وحسن الاثار ، (وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار) . (الرعد ٤٢) .

وظهرت كلمة اهل السنة بالديار المصرية ، وخطب فيها للدولة العباسية بعد اليا س ، وراح الله من بها من الفتنة ورفع عنهم الحنة ، فالحمد لله على ما منح ، وله الشكر على ما فتح .

ومع ما ذكرت من هذه المناقب كلها ، وشرحت من دقها وجلها ، فهو حسن الخط والبنان ، متأت لمعرفة العلوم بالفهم والبيان ، كثير لمطالعتها ، مائل الى نقلها ، مواظب حريص على تحصيل كتب الصحاح والسنن ، مقتن لها بأوفر الاعواض والثمن ، كثير المطالعة للعلوم الدينية ، متبع للآثار النبوية ، مواظب على الصلوات في الجماعات ، مراعاة لادائها في الاوقات ، مؤد لفروضها ومسئولاتها ، معظم لفقدما في جميع حالاتها ، عاكف على تلاوة القرآن على ممر الايام ، حريص على فعل الخير من الصدقة والصيام ، كثير الدعاء والتسبيح ، راغب في صلاة التراويح ، عفيف البطن والفرج ، مقتصد في الانفاق والخرج ، متحري في المطاعم والمشارب والملابس ، متبري من التباهي والتمازيء والتنافس ، عري عن التجبر والتكبر ، بري من التنجم والتطير ، مع ما جمع الله من العقل المتين ، والرأي الصويب الرصين ، والاقتداء بسيرة السلف الماضين ، والتشبهه بالعلماء والصالحين ، والاقتداء لسيرة من سلف منهم في حيز سمتهم ، والاتباع لهم في حفظ حالهم ووقتهم .

حتى روى حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وكان قد استجيز له ممن سمعه وجمعه ، حرصا منه على الخير في نشر السنة والتحديث ، ورجا ان يكون ممن حفظ على الامة اربعين حديثا كما جاء في الحديث ، فمن راه شاهد من جلال السلطنة وهيبه الملك مايبهره ، فإذا فاوضه رأى من لطافته وتواضعه مايحيره .

وقد حكى عنه من صحبه في حضره وسفره ، انه لم يكن يسمع منه كلمة فحش في رضاه ولا في ضجره ، وان اشهى مااليه كلمة حرق يسمعا ، او ارشاد الى سنة يتبعها .

يحب الصالحين ويؤاخيهم ، ويزور مساكنهم لحسن ظنه بهم ، فإنا احتلم مماليكه اعتقهم ، وزوج ذكرانهم بانائهم ورزقهم .

ومتى تكررت الشكاية اليه من احد ولاته ، امر بالكف عن اذى من تكلم بشكاته ، فمن لم يرجع منهم الى العدل ، قابله باسقاط المرتبة والعزل ، فلما جمع الله له من شريف الخصال ، تيسر له جميع مايقصده من جميع الاعمال ، وسهل على يديه فتح الحصون والقلاع ، ومكن له في البلدان والبقاع ، حتى ملك حصن شيزر وقلعة دوسر ، وهما من احصن المعامل والحصون ، واحدوى على مافيهما من النخر المصون ، من غير سفك محجمة من دم في طلبها ، ولاقتل احد من المسلمين بسببها ، واكثر ما اخذه من البلدان ، بتسلمه من اهله بالامان ، وولى لهم بالعهود والايمان ، فأوصلهم الى ماأنهم من المكان .

واذا استشهد احد من اجنائه ، حفظه في اهله واولاده ، واجرى عليهم الجرايات ، وولى من كان اهلا منهم للولايات ، وكلما فتح الله عليه فتحا وزاده ولاية ، اسقط عن رعيته قسطا وزادهم رعاية ، حتى ارتفعت عنهم الظلمات والمكوس ، واتضعت في جميع ولايته الغرامات والنحوس ، ودرت على رعاياه الارزاق ، ونفقت عنهم

الاسواق ، وحصل بينهم بيمنة الاتفاق ، وزال بـبركته العناد والشقاق ، فإن فتكت شرنمة من الملاعين ، قلما علمت منه الرافسة واللين ، ولو خلط لهم شدته بلينة ، لخاف سطوته الاسد في عرينه .

فالله يحقن به الدماء ، ويسكن به الدهماء ، ويديم له النعماء ، ويبليج مجبه السماء ، ويجري الصالحات على يديه ، ويجعل منه واقية عليه ، فقد القى ازمنا اليه ، واحصى علم حاجتنا اليه .

ومناقبه خطيرة ، ومماحه كثيرة ، ذكرت منها غيضا من فيض ، وقليلاً من كثير ، وقد مدحه جماعة من الشعراء ، فأكثروا ، ولم يبلغوا وصف الاثنه بل قصروا ، وهو قليل الابتهاج بالشعر ، زيادة في تواضعه لعلو القدر .

فالله يديم على الرعية ظله ، ويذشر فيهم رأفته وعدله ، ويبليغه في دينه وبنياه مأموله ، ويختم بالسعانة والتوفيق اعماله ، فهو بالاجابة جدير ، وعلى مايشاء قدير . والله اعلم .

يوسف بن أيوب بن شادي
الملك الناصر صلاح الدين

سلطان المسلمين ، وقامع المشركين ، فاتح البيت المقدس وبلاد
الساحل ، ومخلصها من ايدي الكافرين ، رحمه الله .

يوسف بن دوناس بن عيسى

أبو الحجاج المغربي الفندلاوي الفقيه المالكي
قدم الشام حاجا ، فسكن بانياس مدة ، وكان خطيبا بها ، ثم
انتقل الى دمشق وأستوطنها ، ودرس بها مذهب مالك ، وحدث
بالموطأ ، وبكتاب التلخيص لابن الحسن القابسي .

كان شيخا حسن المفاكحة ، حلو المحاضرة ، شديد التعصب
لمذهب اهل السنة ، كريم النفس ، مطرحا للتكلف ، قوي القلب .

قال الحافظ ابن عساكر: سمعت ابا تراب بن قيس بن حسين
البعليكي يذكر :

انه كان يعتقد اعتقاد الحشوية ، وانه كان شديد البغض ليوسف
الفندلاوي لما كان يعتمد من الرد عليهم ، والتقصص لهم ، وانه خرج
الى الحجاز ، وأسر في الطريق ، وألقي في جب ، وألقي عليه
صخرة ، وبقي كذلك مدة يلقي اليه ما يأكل وانه أحس ليلة بحس ،
فقال : ناولني يدك ، فناوله يده ، فأخرجه من الجب ، فلما طلع انا
هو الفندلاوي ، فقال : تب مما كنت عليه ، فتاب ، وصار من جملة
المحبين له .

وكان ليلة الختم في شهر رمضان يخطب خاطب في حلقته بالاسجد
الجامع ويدعو بدعاء الختم ، وعنده الشيخ ابو الحسن علي بن
المسلم ، فرماهم بعض من كان خارج الحلقة بحجر ، فلم يعرف من
هو لكثرة من حضر ، فقال الفندلاوي : اللهم اقطع يده ، فما مضى
الا يسير حتى أخذ خضير الركابي من حلقة الحنابلة ، ووجد في
صندوقه مفاتيح كثيرة قد اعد لها لفتح الابواب للتلصص ، فامر
شمس الملوك بقطع يديه ، ومات من ذلك .

قتل الفندلاوي - رحمه الله - يوم السبت السادس من شهر ربيع الاول سنة ثلاث واربعين وخمسمائة بالنيرب تحت الربوة . وكان قد خرج مجاهدا للفرنج - خذلهم الله ، وفي هذا اليوم نزلوا على دمشق حماها الله ، ورحلوا بكرة يوم الاربعاء الذي يليه بعد اربعة ايام من نزولهم بارض قينية ، وكان رحيلهم لقلة العلوفة ، والحذر من العساكر المتواصلة لنجدة اهل دمشق من الموصل وحلب - ودفن تحت الربوة على الطريق ، ثم نقل الى مقبرة الباب الصغير ، فدفن بها ، وكان خروجه اليهم راجلا .

قال احمد بن محمد القيرواني :

رايت الشيخ الامام حجة الدين في المنام جالسا في مكانه الذي يدرس فيه بالجامع ، فاقبلت اليه وقبلت يده ، فقبل رأسي ، وقلت له : يامولاي الشيخ ، والله مانسيتك ، وما انا فيك الا كما قال الاول :

فاذا نطقت فانت اول منطقي

واذا سكت فانت في اضماري

فقال لي : بارك الله فيك . ثم قلت له : يامولاي الشيخ الامام ، اين انت ؟ فقَالَ : في جنات عدن ، (على سرر متقــــــــابلين)
«الحجر - الاية : ٤٧ »